# من أسرارِ النَّظمِ القُرآنِيِّ
# فِي
# سُورِ الْإِخْلَاصِ والْمُعَوِّذَتَيْنِ


إعداد

**محمد الفضل محمد سيد**

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بِكلية أصول الدين بالقاهرة

# من أَسْـــــرَارِ النَّظْـــــمِ الْقُـــــرْآنِـــيِّ فِي سُوَرِ الْإِخْلَاصِ والْمُعَوِّذَتَيْنِ

**محمد الفضل محمد سيد**

**مــدرس التفسير وعلوم القرآن بِكليــة أصــول الدين بالقاهــرة**

**البريد الإلكتروني:** mohamedelfadl @azhar.edu.eg

**الملخص:**

يكشف هذا البحث عن جوانب من أسرار النظم القرآني المُعجز في تفسير سور الإخلاص والمعوذتين، وقد بيّنت من خلاله تعريف النظم القرآني عند علماء اللغة والبلاغة، وكيف تناوله المفسرون وطبّقوه في تفاسيرهم، مع بيان أن النظم القرآني يُعدّ من أهم وجوه الإعجاز القرآني، وأنه كما يقع في السورة والآية يقع أيضًا في الكلمات والحروف داخل سياق الآية، وأن كل لفظة في الآية القرآنية وقعت مستقرة في مكانها اللائق بها، وأنها لو أُخرت أو قُدمت عن مكانها، أو تغيّر تصريفها، أو استُبدلت بها كلمة مرادفة لها في معناها لاختّل النظم واضطرب المعنى؛ ولذلك كان النظم القرآني من أهم أسرار عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، ولم يكن المقصود منه بيان عجزهم فقط، وإنما إثبات صدق النبي –ﷺ– في دعواه، وأنه مُرسلٌ من عند الله، وأن القرآن الكريم وحيٌ أوحاه الله إليه وليس من تلقاء نفسه، وأن هذا التحدي للثقلين سيظل قائمًا إلى يوم الدين، وأن سور الإخلاص والمعوذتين حوت الكثير من أسرار النظم القرآني المبهر على الرغم من قصرها وقلة آياتها.

**الكلمات المفتاحية: أسرار – النظم – القرآن – الإخلاص – المعوذتين .**

# I am in the middle of the scene. Religious and Religious Heritage

**Mohammad Al-Fadl**
Lecturer in Quran Sciences and Seminars
**Email** : Mohamedelfadl @azhar.edu.eg

## Abstract

This research reveals some of the mysteries of the inimitable coherence of the Noble Qur'an (An-Nazm Al-Qur'ani) as far as the Qur'anic chapters Al-Ikhlas (Purity of Faith), Al-Falaq (Daybreak) and An-Nas (Humankind) are concerned. In this research, I highlighted the linguistic and rhetorical definitions of An-Nazm Al-Qur'ani. I also mentioned how Quran exegetes (mufassirun) dealt with and applied this topic in their exegeses. I demonstrated how Qur'anic coherence is considered one of the key aspects of the inimitability of the Nobel Qur'an. Moreover, I showed that Qur'anic coherence is not only applicable to the Qur'anic sura or ayah but also to the words and letters within the context of the ayah and that each and every Qur'anic word is put in its appropriate place to the point that if it is misplaced, morphologically changed, or replaced with another synonymous word, this will result in incoherence and distortion of the meaning. This explains why Qur'anic coherence is one of the secrets behind incapability of humankind and jinn to produce something like the Qur'an. The Qur'anic coherence does not only seek to demonstrate their incapability but also to attest to Prophet Muhammad's claim that he is a Prophet sent by Allah and that the Noble Qur'an is a revelation sent down to him and that he is not the author thereof. This challenge posed to both humankind and jinn will continue to exist until the Day of Judgment. The research also reveals that the abovementioned Qur'anic chapters contain a lot of the mysteries of this impressive coherence despite the fact that they are short chapters with very few ayahs.

**Key words:** Secrets - systems - Qur'an - sincerity - Al-Mu'awdhatin.

## مقدمة

الحمد لله أنزل على نبيه ومصطفاه قرآنا جعله معجزًا في نظمه ومبناه فأعجز به جميع خلقه من إنس ومن جان جعله معجزة خالدة لا تبلى ولا تنالها الأيام بل كل عام يمر يشهد أن لفظه ونظمه من عند الله وأنه خير شاهد على صدق نبيه في دعواه وأنه مُرسل وموحى إليه من عند الله، نزل إلى قوم عُرفت البلاغة والفصاحة بهم فكانوا أربابها وسدنتها وملاذ كل من طلب أن يستقيم لسانه وجناه ومع ذلك أعجزهم وأفحمهم فلما عجزوا عن الإتيان بمثله تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فلما أعلنوا ضعفهم وتيبست ألسنتهم وأيديهم استهزأ بهم وجعل التحدي بسورة من مثله فعجزوا فما كان منهم إلا أن اختاروا الحرب والدماء واستسهلوها عن حمل قلم ودواة وكتابة سورة من مثله في ورق وقرطاس فبان ضعفهم وسطع وانكشفت عورة عجزهم وقلة حيلتهم أمام نوره الساطع ونظمه البديع المعجز الباهر

**وبالبحث** والتدقيق والتأمل تبين لدى القوم أن الذي أعجزهم وسيعجز غيرهم إلى قيام الساعة حسن بلاغة نظم القرآن التي تسري في آياته وكلماته وحروفه لتنسج منه عقدًا فريدًا لا نظير له من هنا اعتنى بعض من المفسرين بإبراز أوجه الإعجاز القرآني من خلال نظمه كان من أبرزهم الإمام الرازي والبيضاوي، والإمام أبو السعود، والإمام البقاعي وغيرهم من المفسرين المعاصرين كالإمام الطاهر بن عاشور، شغلتهم قضية النظم وكانت كلما سنحت لهم الفرصة تكلموا عن نظم القرآن الكريم، وذلك لأنك لن تجد واحدًا منهم أو من غيرهم طبق نظرية النظم القرآني على القرآن من أوله إلى آخره أو على سورة بأكملها من أولها إلى آخرها وإنما حديث متناثر

ربما تمر سورة من غير حديث عن النظم وبيانه، وخاصة في أواخر سور القرآن الكريم.

لذلك استخرت الله العظيم في أن يكون بحثي هذا محاولة مني لتطبيق نظرية النظم في تفسير يشمل سورة بل سور بأكملها من القرآن الكريم ووضعته تحت عنوان

**" من أسْرَارِ النَظْمِ الْقُرْآنِي فِي سُوَرِ الإخْلاصِ و الْمُعَوِّذَتَيْنِ"**

والذي يفرق هذه الدراسة عن أي دراسة أخرى في مجال النظم القرآني أن حديث المفسرين عن النظم يكون في بعض كلمات داخل آيات في سور بعينها لا يتناول السورة من أولها إلى آخرها، بخلاف هذا البحث فإنك ستجد فيه تطبيقًا للنظرية من أول السورة إلى آخرها

**أمر آخر** وهو ندرة المتحدثين من المفسرين عن أسرار النظم القرآني في هذه السور لأنه كما هو معلوم أن المفسر عندما يصل الى الأجزاء الأخيرة من تفسير القرآن يكون قد استفرغ ما في وسعه وقل صبره وضعف نفسُهُ لذلك تجده يختصر ويجمل الكلام ويحيل على ما ذكره من قبل هذا في الأجزاء الأخيرة فكيف الحال وهذه آخر ثلاث سور من القرآن الكريم لذلك قل اهتمام العلماء بها وإن وجدت أحدًا منهم يتكلم عن أسرار النظم تجده إن تكلمَ تكلَّمَ عن موضع وترك باقي المواضع فأردت أن أبرز أهم ملامح إعجاز النظم القرآني فيها من أولها إلى آخرها مستعينًا بالله تعالى.

**أهمية الموضوع وأهم أسباب اختياره:**

١- بيان أهم أسباب تعذر الإتيان بمثل القرآن، أو حتى بسورة من مثله، وبيان سر عجز الإنس والجان مجتمعين عن الإتيان بمثله.

٢- بيان أن النظم القرآني من أهم أوجه إعجاز القرآن الكريم.

٣- قلة المفسرين الذين تناولوا بيان نظم القرآن في سور الإخلاص والمعوذتين، بأكملها على الرغم من كونها أكثر السور قراءة في الصلاة وغيرها وأول ما يحفظه الصبيان والبنات من القرآن الكريم.

٤- بيان أوجه الإعجاز القرآني في هذه السور وحُسن النظم فيها.

**أهداف البحث**

١- بيان أن النظم القرآني روح تسري في جسد القرآن الكريم من أوله إلى آخره في جميع سوره وآياته وكلماته وحروفه.

٢- إبراز الوجه البلاغي والإعجازي والجمالي للنظم القرآني.

٣- الوصول إلى المعنى الحقيقي للنظم القرآني من خلال أقوال علماء اللغة والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن

**الدراسات السابقة**

لم أجد فيما انتهى إليه علمي بحثًا مستقلًا أفرد الحديث عن أسرار نظم القرآن الكريم في سور الإخلاص والمعوذتين وإنما كل ما تجده في هذا الباب كلمة لمفسر هنا وأخرى لمفسر هناك لا تجد مفسرًا أفرد الحديث عنها مجتمعة فضلًا عن سورة واحدة منها، وإن وجدت تجد دراسة تفسيرية تحليلية لسورة أو سورتين منها

وكل ما تجده في المكتبة التفسيرية مشاريع كبيرة في أقسام التفسير وعلوم القرآن لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه يقوم فيها الباحثون بجمع مواطن حديث المفسر عن نظم آية أو كلمة أو حرف من حروف القرآن الكريم في المقدار المخصص له من سور القرآن الكريم ثم بيان ما قاله العلماء فيها دون أن يتدخل الباحث بإضافة جديد على تلك المواضع بل ربما يتغاضى عن بعضها لضيق وقته أو كبر حجم الرسالة وعليه فوجه الاختلاف واضح جلي لا لبس فيه ولا دَخَل.

**منهج البحث وعملي فيه :**

اقتضت طبيعة البحث أن أنهج فيه المنهج الوصفي التحليلي [1] لكل آيات السور محل الدراسة

وكان عملي فيه على النحو الآتي

بيان وجه الإعجاز في اختيار نظم كلمات وحروف هذه السور وبيان العلة التي من أجلها وضعت هذه الكلمة في موضعها وما سر التقديم والتأخير والتعريف والتنكير ولماذا يختل المعنى لو وضع لفظ آخر مرادف يحمل نفس المعنى.

**وكان من بين متممات البحث**

١-كتابة الآيات القرآنية بالخط العثماني وعزوها إلى سورها مع كتابة رقم الآية بجوارها في المتن حتى لا تطول الهوامش.

٢- تخريج الأحاديث من مظانها وبيان حكم العلماء عليها.

٣- لم أترجم لأحد من المفسرين وعلماء البلاغة لشهرتهم وحتى لا يطول البحث بالتراجم.

٤- وثقت الإحالات العلمية من مصادرها الأصلية، مقتصرًا على اسم الكتاب ومؤلفه، مكتفيًا بذكر معلومات الطبعة كاملة في فهرس المصادر والمراجع.

---

١)) المنهج الوصفي التحليلي: "يقوم هذا المنهج على وصف ظاهرة من الظواهر، للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها، ويتم ذلك وفق خطة بحثية معينة، وذلك من خلال تجميع البيانات، وتنظيمها، وتحليلها". ينظر: البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته للدكتور محمد الصاوي محمد مبارك (ص٣٠).

٥- عمل فهارس للمصادر والمراجع مرتبة حسب حروف المعجم، وفهرس للموضوعات.

**خطة البحث:**

تتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث ومطالب، وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات وفهارس وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول النظم القرآني أهم وجوه الإعجاز القرآني.

المطلب الأول: النظم القرآني وجه التحدي والإعجاز في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف النظم عند أهل اللغة.

المطلب الثالث: تعريف النظم عند البلاغيين.

المطلب الرابع: قضية النظم القرآني بين المفسرين والبلاغيين.

المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالنظم وكونه من أهم وجوه الإعجاز القرآني.

المبحث الثاني: من أسرار النظم القرآني في سورة الإخلاص.

المبحث الثالث: من أسرار النظم القرآني في سورة الفلق.

المبحث الرابع: من أسرار النظم القرآني في سورة الناس.

**المبحث الأول: النظم القرآني أهم وجوه الإعجاز القرآني**

في هذا المبحث سأعرض لأهم المطالب التي تبرز قيمة وأهمية النظم القرآني، وكونه من أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم، ذلك من خلال التعريف به لغة واصطلاحًا وبيان أقوال علماء اللغة والبلاغة فيه وجهودهم في التأسيس لنظرية النظم القرآني ومسائل أخرى متعلقة بقضية النظم القرآني.

**المطلب الأول: النظم القرآني وجه التحدي والإعجاز في القرآن الكريم**

لما قرع القرآن الكريم سمع العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة وأحسنُ الناس منطقًا وأجملهم بيانًا وأصحهم لسانًا فأبهرهم وأدهشهم حسن نظمه في سوره وآياته وجزالة مفرداته وكلماته بل وحتى في اختيار حروفه، فدفعهم الانبهار والدهشة إلى رمي النبي -ﷺ- بما يعلمون أنه منه براء لأنهم لم تسعفهم قريحتهم بتوصيف ما جاءهم به لذلك لم يستقروا على وصف بعينه فمرة قالوا عنه كاهن، مع أنهم يعلمون أنه ما أتى أمر الكهانة يومًا وما جلس يومًا إلى كاهن من كهنة الكعبة ليُعلمه كلام الكهنة لا القرآن، ومرة رموه بالشعر وأنه لا يخرج عن كونه شاعر مع تمام علمهم أنه لم يقل شعرًا قط من قبل لا بالسليقة، ولم يتعلم أصول الشعر وبحوره وأوزانه وقوافيه يومًا، لم يستوعبوا وقتها أنه كلام رب العالمين، ولقد نفى الله عن نبيه -ﷺ- ما رموه به وبرأ ساحته من الكهانة والشعر فقال ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ **(الطور: ٢٩ -٣٢)** ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **(الحاقة: ٤١ – ٤٢)**

**لم يقفوا عند قولهم كاهن وشاعر** فأوصلهم عجزهم إلى القول بإن ما جاء به سيدنا محمد -ﷺ- أضغاث أحلام فقالوا ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ **(الأنبياء : ٥)**

ولقد وصف القرآن الكريم ما قاموا به من رميه بالكهانة والشعر والتقول بأنهم طاغون في ذلك جاءوا بأقوال خارجة عن دائرة العقول والظنون ما دفعهم للقول بها إلا أنهم مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد ولفرط نفورهم عما يخالف دينهم، وكرههم لمفارقة دين آبائهم، قال تعالى ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ **(الطور: ٣٢)**

فلما أفاق العرب من دهشتهم التي دفعتهم إلى التقول بالأقوال الخارجة عن دائرة العقول والغير مستساغة، قاموا بنفي الشعر والكهانة عنه -ﷺ- من عند أنفسهم سرًا فيما بينهم وجهرًا[1] قبل أن يتولى القرآن مهمة الدفاع عنه

---

[1]) ذلك أنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ ذَا سِن فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَالْمَوْسِمَ فَقَالَ لَهُمْ: يَا معشرَ قرَيش، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ ستقدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بأمرِ صاحبِكم هذْا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فيكذِّب بعضُكم بَعْضًا، وَيَرُدَّ قولُكم بعضَه بَعْضًا؛ قَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُولُ بِهِ؛ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعْ؛ قَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ؛ قَالَ: لَا وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بَزَمْزَمة الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعه؛ قَالُوا: فَنَقُولُ: مَجْنُونٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ، فَمَا هُوَبِخَنْقه، وَلَا تَخَالُجِهِ، وَلَا وَسْوَسَتِهِ؛ قَالُوا: فَنَقُولُ: شَاعِرٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ رجزَه، وهَزَجه وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ ومبسوطه، فما هو بالشعرة قَالُوا: فَنَقُولُ: سَاحِرٌ؛ قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحَّار وسحرَهم، فَمَا هُوَ بنَفْثِهم وَلَا عَقْدِهم قَالُوا؛ فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؛ قَالَ: وَاَللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ أصلَه لعَذْقٍ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لجَناة، وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ من هذا شيئًا إِلَّا ==

-ﷺ-وجدوا أنفسهم يواجهون نفس التحدي من جديد قرآن أبهرهم نظمه وحسن بلاغته وبيانه فلم يجدوا هذه المرة إلا أن يدعوا زورًا وكذبًا أنه -ﷺ- تقوله من تلقاء نفسه وادعى أنه جاءه من عند الله فرد الله عليهم بقوله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ **(الطور: ٣٣)**

**لم يكتف القرآن بذلك** بل بين لهم أن محمدًا -ﷺ- لو فعل ذلك للقي عذابًا عظيمًا لا يستطيع أهل الأرض أن يدفعوه عنه قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ **(الحاقة: ٤٤ – ٤٧)**

ثم بين لهم القرآن الحقيقة التي غابت عنهم وعميت عنها أبصارهم وهي أن القرآن تنزيل من رب العالمين فقال لهم ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **(الحاقة: ٤٣)**

وكأنهم كفروا بذلك ولم يُقنعهم وأبوا إلا أن محمدًا -ﷺ- تقوله فلم يجد القرآن بُدًا من مجاراتهم في قولهم أن محمدًا تقوله من عند نفسه فبين لهم إذا كان محمد -ﷺ- وهو من حيث تعلمون أمي لم يقرأ ولم يكتب لم يقعد ليدرس علوم العربية ويتعلمها على يد معلم وتعلمون أن من العرب من هو أفصح منه لسانًا وبيانًا فليأت أحدكم بمثل ما جاء به محمد -ﷺ- فإن كان كما تقولون أنه اختلقه وافتراه، فإنكم مثله من العَرب، ولسانه مثل لسانكم، وكلامه مثل كلامكم، فالمساواة بينه وبينكم في المقدرة على نظم الكلام

---

==

عُرف أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ؛ لِأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سحر يفرّق به بين المرءِ وابنه، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ. فَتُفَرِّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ " ينظر: سيرة ابن هشام (٢٤٣/١، ٢٤٤)، وسيرة ابن إسحاق (ص١٥١)، والرحيق المختوم ص٧١

ثابتة، فلو كان القرآن قد قاله محمد -ﷺ- لكان بعض خاصة العرب البلغاء قادرًا على تأليف مثله، فأتوا بمثل هذا القرآن، إن كنتم صادقين في ادعائكم. **فتحداهم أول ما تحدى أن يأتوا بمثل القرآن كاملًا** في نظمه وحسن بيانه فقال لهم ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ **(الطور: ٣٤)** [١] " والمماثلة المطلوبة منهم هي في النظم والرصف والإيجاز."[٢]

فلما عجزوا عن الإتيان بمثله نزل معهم إلى درجة أقل في التحدي وإثبات العجز فقال لهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ **(هود: ١٣)** فلما تكرر عجزهم للمرة الثانية واسودت وجوههم أراد القرآن أن يُجهز علي كبرهم وعنادهم ويُذهب بأمجاد البلاغة والفصاحة والبيان التي تغنوا بها زمنًا طويلًا ولا زالت قبل قليل مصدر فخرهم وعزهم ورفعتهم على سائر الأمم وها هي الأمجاد صارت تتهاوى لبنةً وراء لبنة حتى تربت أيديهم وذهب سيطهم وتبعثر كهباء

---

١)) قال الطبري: "بقرآن مثله" أو بمثل هذا القرآن ينظر: جامع البيان للطبري (٤٨١/٢٢)، وبنحوه قال السمرقندي في بحر العلوم(٤٥١/٣) وابن أبي زمنين في تفسيره (٣٠١/٤) والواحدي في البسيط (٥٠٤/٢٠) والبغوي في تفسيره (٢٩٥/٤) والبيضاوي في تفسيره (١٥٥/٥)، والنسفي في تفسيره(٣٨٦/٣) والقرطبي في تفسيره (٧٣/١٧) وابن جزي في تفسيره (٣١٣/٢)، وأبو السعود في تفسيره (١٥١/٨)

٢)) تفسير ابن عطية (١٩٢/٥) وقال أبوحيان: " أي مماثل للقرآن في نظمه ووصفه من البلاغة، وصحة المعاني والإخبار بقصص الأمم السالفة والمغيبات، والحكم." البحر المحيط (٥٧٤/٩) وبنحوهما قال البقاعي في نظم الدرر (٢٥/١٩) وقال أبو السعود:" مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى." إرشاد العقل السليم (١٥١/٨)

منثور تأكد ذلك لما عجزوا عن الإتيان حتى بسورة[1] منه ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ **(يونس: ٣٨)** ثم كرر نفس التحدي في المدينة بعد الهجرة وكأنه تحدي لأهل الكتاب الذين دربوا على سماع وقراءة كلام الله في التوراة والإنجيل فكرر التحدي مرة ثانية فقال ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ **(البقرة: ٢٣)**

**وبهذا التدرج في التحدي** من الإتيان بمثله كاملًا إلى الإتيان بعشر سور منه إلى الإتيان بسورة منه [2] يكون القرآن نقلهم من عجز إلى عجز أشد ومن

---

[1]) اختلف المفسرون في المراد ب (بسورة مثله) قال الطبري:" قال بعضهم "الهاء" في قوله "مثله"، كناية عن القرآن. أي مثل القرآن الكريم." جامع البيان للطبري (٩١/١٥) وبنحوه قال السمرقندي في بحر العلوم (١١٧/٢) وقال بعضهم أي مثل سورة يونس التي حوت هذه الآية قال الإمام الرازي:" هذه الآية في سورة يونس وهي مكية، فالمراد مثل هذه السورة، لأنها أقرب ما يمكن أن يشار إليه.(مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٥٤/١٧) ولقد رجح الإمام الطبري القول بسورة منه وليس كل القرآن فقال:" والصواب من القول في ذلك عندي، أن "السورة" إنما هي سورة من القرآن، وهي قرآن، وإن لم تكن جميع القرآن." جامع البيان للطبري (٩٢/١٥) والقول الأقرب والأرجح والأنسب لحسن نظم القرآن ما قاله الإمام الزمخشري فقال:" بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أى شبيهة به في البلاغة وحسن النظم." الكشاف (٣٤٧/٢) وبنحوه قال البقاعي في نظم الدرر (١٢٣/٩)

[2]) يقول الأستاذ الدكتور أبوشهبة:" وهذا الذي ارتضاه جمهور العلماء وارتضيته في ترتيب آيات التحدي هو ما يجب أن يصار إليه، ومن العلماء من يجعل آية (يونس) متقدمة على آية (هود) لتقدم نزول سورة يونس على سورة هود فيجعل التحدي بسورة قبل التحدي بعشر سور، والجواب أنه على فرض تسليم ذلك فلا يمنع من تأخر نزول آية في سورة متقدمة على نزول آية في سورة متأخرة على أن بعض العلماء يرى تقدم سورة ==

هزيمة إلى هزيمة أكبر وهو في كل مرة ينتقل من فوز إلى فوز ويخرج من نصر إلى نصر.

**وحتى لا يظن ظان** أن تحدى القرآن يقع في حق الرجل الواحد منفردًا وينكسر في حق الاثنين والجماعة قطع القرآن عليهم فكرة التقول بأنه يمكن مناوأة القرآن بتجمع الفصحاء والبلغاء في صعيد واحد حتى هذه نفاها القرآن، فدعاهم إلى أن يجتمعوا وليُعن بعضهم بعضًا في هذه المعارضة، فإذا عرفوا عجزهم حالة الاجتماع وحالة الانفراد عن هذه المعارضة، فحينئذ يظهر لهم أن تعذر هذه المعارضة إنما كان لأن قدرة البشر غير وافية بها، فحينئذ يظهر أن ذلك من فعل الله لا فعل البشر.

**ولأنهم كانوا يستعينون ويعوذون بالجن** كما أخبر الله عنهم في سورة الجن[١] قطع عليهم فكرة الاستعانة بغير الإنس من الجان فقطع عليهم كل طريق لمحاولة الإتيان بمثل القرآن، وأن الجن داخلون في هذا التحدي غير خارجين عنه، حتى يُطلب منهم العون، لأنهم أشد عوزًا منكم لمن يُخفي عجزهم ويأتيهم بمثله فقال ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ **(الإسراء: ٨٨)**

---

==

(هود) على سورة (يونس) وحينئذ يكون ما ذهبنا إليه هو الحق والصواب، وإذا كان مستقبحًا في الكلام العادي التحدي بشيء فإذا عجز تحداه بعشرة أمثاله فما بالك بأبلغ الكلام وأحكمه هذا ما لا يمكن أن يكون في الكتاب المعجز المبين." ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص٩)

١)) ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن: ٦

"أي بمثل هذا القرآن على نظمه وإيجازه ونسقه مع كثير مما ضمن فيه من الأحكام والحدود وفنونها."[1]

قال الإمام الباقلاني:" إن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الانس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا."[2]

ولقد سجل القرآن الكريم إعجاب الجن بالقرآن وبيان اندهاشهم من حسن نظمه قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ **(الجن: ١)**

" وإنَّمَا استغربوا ذلك منه؛ لأنهم سمعوه من أُمِّي لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتب، ومنهم من قال بأن حسن تأليفه ونظمه ووصفه هو الذي حملهم على التعجب."[3]

**ولعلك تلمح معي** أن الله كرر هنا تحديهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم كاملًا بعد ذكره أول مرة في سورة الطور لإثبات عجز الجن وأنهم لم يخرجوا عن دائرة التحدي والعجز.

**لم يضيق القرآن الكريم عليهم دائرة التحدي بقصرها عليهم والجن فقط**، وإنما أوسع لهم دائرة العون والاستعانة فجعلها تشمل كل شيء دون الله تعالى من أوليائهم وشركائهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ويرون فيها القدرة والألوهية فقال لهم ادعوا مَنْ قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله، واجمعوا على ذلك من شئتم إن كنتم صادقين في

---

[1]) تفسير الماتريدي (٣٢٨/٢)

[2]) إعجاز القرآن **للباقلاني** (ص٧٠)

[3]) تفسير الماتريدي (٢٤٠/١٠)

قولكم أن محمدًا تقوله من عنده فقال لهم ﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ **(يونس: ٣٨)** وقال لهم في سورة البقرة ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ **(البقرة: ٢٣)** وكأن استثناء الله تعالى من بين المدعوين والمستعان بهم على الإتيان بسورة من القرآن يقصر ويحصر أمر القرآن على الله تعالى، وبيان أنه من عنده تعالى وأنه ليس لمحمد –ﷺ–دخل في هذا القرآن ونظمه

**ثم أكد لهم القرآن عجزهم وبين لهم أن العجز قائم بهم وبمن أتى من بعدهم** فقال لهم عقب تحديهم الإتيان بمثله أو بمثل سورة منه ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ **(البقرة: ٢٤)**

**وبعد إثبات عجزهم وإقرارهم بذلك بين لهم القرآن سر إعجازه الذي غاب عنهم أو علموه وأخفوه في صدورهم** وهو ظاهر لذي عينين لكن حجبه ساتر الكفر والكبر والعناد وهو أن الذي أعجزكم عن الإتيان بمثل القرآن أنه ليس من كلام البشر وإنما من كلام الله رب العالمين فقال لهم ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ **(الحاقة: ٤٣)** موضحًا لهم أنه ما ينبغي لأحد أن يتخرَّصه أو يختلقه من عند غير الله، لأن ذلك لا يقدر عليه أحدٌ من الخلق وإنما هذا خبرٌ من الله رب العالمين جل ثناؤه أنزله إلى عبده ونبيه محمد –ﷺ– فقال لهم ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ **(يونس: ٣٧)**

وقال لهم عقب آية من آيات التحدي ﴿ فَإِلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ **(هود: ١٤)**

**ثم فضح الله سرائرهم** وما أخفوه في صدورهم وكان سببًا في عجزهم عن الإتيان بمثله السبب الذي لأجله كذبوا القرآن فقال وهو أنهم لم يقفوا على كيفية نظمه، ولا ترتيب ألفاظه، ولا نظروا فيه، ولا تدبروا؛ ليعلموا معناه، ولم يحيطوا به من جميع وجوهه بل كذبوه بالبديهة، فقال لهم عقب آية التحدي: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ **(يونس: ٣٩)** قال الإمام البقاعي:" أي في نظمه"[١]

وقال الإمام ابن عطية في تفسير آية سورة يونس، وهود:" وما وقع التحدي في الآيتين هذه وآية العشر السور إلا بالنظم والرصف والإيجاز والجزالة، في التعريف بالحقائق."[٢]

**ولذلك** فسر بعضهم قوله تعالى ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي " شبيهة به في البلاغة وحسن النظم."[٣]

وقال الإمام البيضاوي: " في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرناً في النظم والعبارة."[٤]

ولذلك رأى بعض المفسرين أن طلب كفار قريش من النبي-ﷺ- أن يأتي بغير هذا القرآن كانوا يقصدون على غير نظمه ورسمه فقالوا من بين تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا

---

[١]) نظم الدرر للبقاعي (١٢٤/٩)

[٢]) تفسير ابن عطية (١٢٠/٣)

[٣]) الكشاف للزمخشري (٣٤٧/٢)

[٤]) تفسير البيضاوي (١١٣/٣)

ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾**(يونس: ١٥)** :" أي: ارفع رسمه ونظمه وأحكامه."[١]

**وبذلك يتضح جليًا** لكل من له مسكة من عقل يتدبر به أن قضية النظم القرآني وحسن بيانه في رصف ونظم كلمات الآية كانت سر إعجاز الناس وعجزهم عن الإتيان بمثله وكأن القرآن يقول لهم جئتكم بمفردات وكلمات تعلمونها جيدًا تنطقون بها طوال يومكم انظموها في جمل وآيات وأتوا بمثل القرآن لكنهم عجزوا بسبب حسن نظم القرآن الذي عجزوا عن الإتيان بمثله، وعجز كل الخلق أجمعين.

**من هنا شغلت قضية النظم القرآني عقول العلماء** وأفردوا لها من وقتهم وجهدهم وقدح أذهانهم الكثير والذي سطرته أقلامهم في قراطيسهم كتبًا أفردوها بالتصنيف للحديث عن نظم القرآن الكريم وكونه وجهًا من أعظم وأجمل وجوه إعجاز القرآن الكريم

**المطلب الثاني: تعريف النظم عند أهل اللغة**

تتبعت عبارات أهل اللغة والمعاجم في بيان النظم مراعيًا الترتيب الزمني من الأقدم إلى الأحدث لأقف على تطور عباراتهم في ذلك فوجدت أن عباراتهم تنوعت في تعريفهم للنظم فتارة تجدهم يعنون به **ضم شيء إلى شيء من نوعه**

فقال بعضهم: " النظم نظمك خرزا بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء، نظمت السمكة حين يمتلئ من أصل أذنها إلى ذنبها بيضا،

١)) تفسير الماتريدي (٦/٢١)

والنظم دُرٌ ونحوه مما ينظم."[١] ونقلها صاحب جمهرة اللغة[٢] ولم يشذ عنهم صاحب تهذيب اللغة فنقل عبارتهما بنصها[٣]

ورأى بعضهم أن المراد به (**الجمع بين أشياء يربطها رباط واحد كعقد اللؤلؤ، وكلمات الشعر**)

قال صاحب الصحاح:" نظمت اللؤلؤ، أي جمعته في السلك والتنظيم مثله. ومنه نظمت الشعر ونظمته."[٤]، وتبعه صاحب مجمل اللغة[٥] وصاحب مختار الصحاح[٦] وصاحب المصباح المنير[٧]،

**بينما رأى بعضهم أن المراد به (التأليف)**

قال صاحب مقاييس اللغة:" النون والظاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء وتأليفه، ونظمت الخرز نظما، ونظمت الشعر وغيره."[٨]

---

[١]) العين للفراهيدي (ت١٧٠هـ) باب الظاء والنون والميم (١٦٥/٨، ١٦٦) بتصرف.

[٢]) جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) باب الظاء والميم مع ما بعدهما من الحروف (٩٣٥/٢)

[٣]) تهذيب اللغة للهروي (ت: ٣٧٠ هـ) أبواب الظاء والنون(٢٨٠/١٤)

[٤]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي (ت٣٩٣ هـ) مادة نظم (٢٠٤١/٥)

[٥]) وزاد عليه:" وأنظمت الدجاجة: صار في بطنها بيض. مجمل اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ) (ص٧٨٣)

[٦]) مختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي (ت:٦٦٦هـ) مادة نظم (ص٣١٣)

[٧]) المصباح المنير للحموي (ت:٧٧٠هـ) النون مع الظاء وما يثلثهما مادة نظم (٦١٢/٢)

[٨]) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني (ت:٣٩٥هـ) ( (٤٤٣/٥)

**ورأى بعضهم أنه يفيد معنى مع التأليف والجمع وهو (القرن)**

فقال:" وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنظم ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما."[١]

وكان أول من صرح بأنه يكون في الكلام على سبيل المجاز صاحب أساس البلاغة فقال:" نظمت الدر ونظّمته، ودر منظوم ومنظّم، وقد انتظم وتنظّم وتناظم، وله نظم منه ونظام ونظمٌ. ومن المجاز: نظم الكلام. وهذا نظم حسن، وانتظم كلامه وأمره."[٢]

وكعادة ابن منظور في لسان العرب عند بيان معنى لفظ أن يجمع بين أقوال أهل اللغة المتقدمين عليه فعل عند تعريفه للنظم فقال:" النظم: التأليف، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، ومنه نظمت الشعر، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته، نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، ونظم الحبل: شكه وعقده، ونظم الخواص المقل ينظمه: شكه وضفره."[٣]

وسلك صاحب تاج العروس نفس مسلك ابن منظور في سرد أقوال المتقدمين عليه بل وصرح بمن نقل عنهم[٤]

---

[١]) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ) (٣١/١٠)

[٢]) أساس البلاغة للزمخشري (ت:٥٣٨هـ) (٢٨٤/٢)

[٣]) لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ) (٥٧٨/١٢) وبنحوه قال صاحب القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ) (ص١١٦٢)

[٤]) تاج العروس للزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) (٤٩٦/٣٣، ٤٩٧)

**بعد هذه السياحة في كتب اللغة أراك تتفق معي وتلمح أن كلمة علماء اللغة تكاد تُجمع أن المراد من النظم الجمع والضم والترتيب والتأليف،**

إلا أن صاحب معجم الفروق اللغوية لمح ملمحًا لطيفًا بين التأليف والنظم فقال:" التأليف يستعمل فيما يؤلف على استقامة أو على اعوجاج، والتنظيم والترتيب لا يستعملان إلا فيما يؤلف على استقامة، ومع ذلك فان بين الترتيب والتنظيم فرقا وهو أن الترتيب هو وضع الشيء مع شكله، والتنظيم هو وضعه مع ما يظهر به، ولهذا استعمل النظم في العقود والقلائد لان خرزها ألوان يوضع كل شيء منها مع ما يظهر به لونه."[١]

**وكان أول من أطلق النظم على القرآن في معجم لغة صاحب جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** لما قال:" النظم: عند الأصوليين هو الكلام المنزل وحديث رسولنا الأكمل عليه الصلاة والسلام فيقال نظم القرآن ونظم الحديث الشريف."[٢]

**وكان أول من عرف النظم من أهل اللغة والمعاجم على طريقة البلاغيين كما سنعرف بعد قليل صاحب كتاب التعريفات** فقال:" النظم: في اللغة جمع اللؤلؤ في السلك، وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل."[٣]

**المطلب الثالث: تعريف النظم عند البلاغيين:**

إذا كان أهل اللغة اهتموا ببيان معنى النظم عندهم، ورأوا أنه يشمل معنى الضم والجمع والقرن والتأليف، وأنه مأخوذ من نظم اللؤلؤ أو الخرز في سلك

---

[١]) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) (ص١١٢)

[٢]) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للنكري (ت: )(٢٨٠/٣)

[٣]) التعريفات للشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ) (ص٢٤٢)

وأن الكلام يكون حسنًا إذا حسُن نظمه، ولما أراد أحدهم أن يقيد ذلك بالقرآن أطلق النظم عليه دون أن يوضح مظهرًا واحدًا من مظاهر إعجاز هذا النظم، حتى جاء علماء البلاغة فأخذوا من كلام علماء اللغة خاصة من قال أن استعمال النظم في العقود والقلائد لأن خرزها ألوان يوضع كل شيء منها مع ما يظهر به لونه فأسقط علماء البلاغة هذا التعريف على القرآن واعتبروا اللآلئ والخرز المنظوم في العقد في سلك واحد بمثابة الكلمات والحروف والآيات المنظومة في السورة الواحدة وأن وضعها على هذا الترتيب ليس عبثًا وإنما لحكمة وهي أن يظهر حسنها وتلمع بلاغتها كما أن اللآلئ يوضع كل شيء منها مع ما يظهر به لونه وجماله. فاجتهدوا في ذلك وتنوعت تعاريفهم وتطورت حتى وصل تعريف النظم إلى التعريف المتعارف عليه الآن في أوساط البلاغيين عندما يُذكر تعريف النظم كان من بينهم هؤلاء الأعلام

١- **الإمام الخطابي**

كان رحمه الله من أوائل العلماء الذين أشاروا وألمحوا إلى قضية النظم القرآني بمعناها الدقيق فبين أن النظم القرآني هو أهم أسباب تعذر البشر عن الإتيان بمثل القرآن ذلك فقال:" الكلام يقوم بثلاثة أشياء: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملتَ القرآن وجدتَها منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسنَ تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها. وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأَما أَن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء

علمًا، وأحصى كل شيء عددًا. واعلم أنَّ القرآن إنَّما صار معجزاً؛ لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمَّناً أصحَّ المعاني."[١]

**ثم صرح بتعريف النظم** فقال هو:" لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان." [٢]

وكان من علماء البلاغة من عاصر الإمام الخطابي ورأي أن بلاغة القرآن المعجزة تكمن في إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[٣]

٢- **الإمام الباقلاني**

أوضح الإمام الباقلاني أن بديع نظم القرآن أسلوب خاص متناه في البلاغة تميز به القرآن فصار به خارجًا عن معهود كلامهم، وأن حسن نظمه لا يتفاوت ولا يتباين بين أجزائه، وأنه على حد واحد ودرجة واحدة من أوله إلى آخره فقال في إعجاز القرآن:"من جملة وجوهِ إعجاز القرآن الكريم " أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه " وأن الذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن

---

[١]) ينظر: بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي (ت:٣٨٨هـ) ص (٢٧).

[٢]) ينظر: بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي ص (٣٦).

[٣]) قال الشيخ الرماني عندما تحدث عن وجوه إعجاز القرآن وذكر من بينها البلاغة وبين أنها على ثلاث طبقات: "منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، والبلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم." ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ت:٣٨٤) (ص٧٥، ٧٦)

المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وأن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها ويشتمل عليها " وإنما هو على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا."[١]

### ٣- تعريف النظم القرآني بين الإمام الجرجاني والشيخ الرافعي

تسابق أهل البلاغة حول حمى النظم القرآني ومطمع كل واحد منهم أن يلج فيه ويغوص في أعماقه ليقف على مكنون أسراره ولآلئه ليظهرها ويوضحها ليقف الناس على جانب من جوانب عظمة النظم القرآني إلا أنهم اختلفوا في أمور منها هل الإعجاز في الألفاظ فقط؟ أم في المعاني؟ أم في المعاني التي ترتب عليها اختيار الألفاظ فيكون في اللفظ والمعنى معًا؟ وهل القدر المعجز يقع في السورة بأكملها استنادًا لظاهر النص القرآني عند التحدي ﴿ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [٢] أم أنه يقع في قدر آية، أم يصح أن يكون في كلمة مفردة أو حرف؟

---

١)) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ت:٤٠٣) (ص٦٩، ٧٠)

٢)) قال الشيخ الزرقاني بهذا يتبين لك أن القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه." ينظر مناهل العرفان للزرقاني (٣٣٤/٢) وقال الشيخ أبوشهبة:" بسورة منه، أي سورة مهما قصرت كسورة الكوثر. ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص٩)

وفي ذلك يقول الامام السيوطي: "اختلف في قدر المعجز من القرآن فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن والآيتان السابقتان ترده وقال القاضي: يتعلق الإعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة تشبثا بظاهر قوله: {بسورة} وقال في موضع ==

**الإمام الجرجاني ونظرية النظم:**

على الرغم من ارتباط نظرية النظم القرآني باسم الشيخ الجرجاني إلا أنه من باب الإنصاف يجب أن نقول أنه لم يكن أول من يلج إلى هذا الموضوع وإنما سبقه إلى ذلك الشيخ الخطابي بأكثر من ثمانين عامًا، لكن الحق يقال إذا كان الشيخ الخطابي وضع حجر الأساس لنظرية النظم فإن الشيخ عبد القاهر بنى على هذا الأساس أدوارًا وتوسع فيه وشيده وجمله وأبرز أهم ملامحه ومظاهر حُسنه ومثل له وأفرد لها كتابًا يتحدث فيه من أوله إلى آخره عنها تأصيلًا وتقعيدًا وشرحًا وتمثيلًا وردًا على كلام مخالفيه من ذلك بيانه أن النظم يكون في الكلم والجمل المركبة الذي بُنيت ألفاظها ورُتبت على ترتب المعاني في النفس أولًا وأنه لا يكون في الكلمة أو الحروف فقط فقال:" « وممَّا يجبُ إحكامهُ، الفَرْقُ بين قولنا: (حروف منظومة)، و(كلم منظومةٌ)، وذلكَ أنَّ (نظْمَ الحروفِ) هو تَواليها في النطق، وليس نظمُها بمقتضى عن معنى – ليس واجبًا لمعنى اقتضاه– ، ولا الناظمُ لها بمُقْتَفٍ

==

آخر: يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة قال فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدروقال قوم لا يحصل الإعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة. وقال آخرون: يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله: {فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين} قال القاضي ولا دلالة في الآية لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة." الاتقان في علوم القرآن (٤/٢٠-٢١) بتصرف. وقال الإعجاز يقع بسورة مثل سورة الكوثر، أو بآية تساويها في طولها. وأن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها. قال: فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز. دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل.ص٣٦٣.

في ذلك رَسْماً منَ العقلِ اقتضَى أَنْ يَتَحرَّى في نظمِهِ لها ما تَحرَّاه. وأمَّا نظمُ الكَلِم، فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنَّك تقتفي في نظمِها آثارَ المعاني، وتُرتِّبها على حسبِ ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظمٌ يعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضهُ معَ بعضٍ[١]، وليسَ هو النَّظم الذي معناهُ ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء، واتفق. والفائدة في معرفة هذا الفرقِ: أَنكَ إذا عرَفْتَه عرفْتَ أنْ ليس الغَرضُ بنَظْم الكَلِم، أَنْ توالَتْ ألفاظُها في النُّطق، بل أَنْ تناسَقَتْ دلالتُها، وتلاقتْ مَعانيها، على الوجهِ الذي اقتضاهُ العقلُ». [٢]

**وقال في موضع آخر مؤكدا على هذا المعنى:**" لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ، وَيْبني بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من

---

[١]) وهو الذي عبر عنه الإمام السيوطي لما تحدث عن اتلاف الألفاظ مع المعاني بقوله: "والثاني: أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة أو جزلا فجزلة أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك

كقوله تعالى: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار} لما كان الركون إلى الظالم وهو الميل إليه والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم فأتى بلفظ "المس" الذي هو دون الإحراق والاصطلاء." الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/٢٩٩، ٣٠٠)

(٢) دلائل الإعجاز للجرجاني (ت:٤٧١هـ) (ص٤٩، ٥٠) بتصرف.

تلك. هذا ما لا يَجهلُه عاقلٌ ولا يخْفَى على أحدٍ منَ الناس."[1] وتبعه الشريف الجرجاني في ذلك عند تعريفه للنظم[2]

**ولعلك تتفق معي** أن هذا عين ما قاله الشيخ الخطابي وركز عليه وقد ذكرته آنفًا فارجع إليه إن شئت من بينه قوله:" واعلم أنَّ القرآن إنَّما صار معجزاً؛ لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمَّناً أصحَّ المعاني."[3] فالخطابي يرى اعجاز القرآن يتمثل ألفاظ منظومة في أحسن نظم تتضمن أصح المعاني، أما الشيخ عبد القاهر فقد أظهر أن المعاني تترتب في النفس عن المعنى المراد إيصاله أولًا ثم تترتب عليها الألفاظ فتأتي موافقة لها. وأن الألفاظ قوالب للمعاني، فالمعنى هو المعبَّر عنه، واللفظ هو المعبَّر به، وهذه هي الصلة بين اللفظ والمعنى.

**الشيخ الرافعي ونظرية النظم**

إذا كان الشيخ الجرجاني يرى أن النظم لا يكون إلا في الكلم المنظوم في الآية القرآنية المكون من الحروف والكلمات والجمل المركبة التي تفيد معنى مراد فإن الشيخ مصطفى صادق الرافعي يرى أن النظم والإعجاز كما يقع في الجملة القرآنية يقع في نظم الحروف وتناسقها داخل الكلمة الواحدة، وكذلك في وضع الحرف الواحد في الكلمة أو بين الكلمات فيقول:" والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة حروفٍ هي من الأصوات، وكلماتٍ هي من

---

[1]) دلائل الإعجاز (ص٥٥/١)

(٢) فقال: "النظم: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل. ينظر: التعريفات للشريف الجرجاني (ص٢٤٢).

[3]) ينظر: بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي (ت:٣٨٨هـ) ص (٢٧) بتصرف.

الحروف، وجُمَلٍ هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به؛ فليس لنا بد في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعاً، فكأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء."[١]

ثم تراه في موضع آخر من الكتاب يُعظِم أمر الكلمة والمفردة القرآنية فيقول: " ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، كما تجد في أساليب البلغاء، بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسانُ العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة."[٢]

**ومعلوم أن الشيخ عبد القاهر ذكر الجواب عن كلام الشيخ الرافعي** وكأنه كان ينظر من طرف خفي فبينهما قرابة تسعة قرون [٣] أو أن قول الإمام الرافعي قاله بعض العلماء الذين عاصروا الشيخ عبد القاهر وهذا ما أرجحه غير أن كتب البلاغة لم تذكر لنا ذلك.

**فردَّ الشيخ عبد القاهر على من يقولون بأن الإعجاز يقع في اللفظ مفرداً** فقال:" فإنْ قيلَ: "النظْمُ" موجودٌ في الألفاظِ على كلَّ حالٍ، ولا سبيلَ إلى أن يُعْقَل

---

[١]) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص (١٤٥)

[٢]) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص (١٥٥)

[٣]) الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ( توفى: ٤٧١هـ) ، والشيخ الرافعي ( توفي: ١٣٥٦هـ) فبينهما (٨٨٥) سنة

الترتيبُ الذي تزعُمُه في المعاني، ما لم تَنْظم الألفاظَ ولم ترتِّبْها على الوجه الخاص.

فأجاب مبينًا أن ترتيب الألفاظ مبني في الأساس على المعنى المراد من الكلام فقال:" إنَّ الألفاظَ إذا كانتْ أوعيةً للمعاني، فإنَّها لا محالةَ تَتَبْع المعاني في مواقعها، فإذا وجَبَ لِمعنًى أنْ يكونَ أولاً في النفسِ، وجَب للفظ الدال عليه أن يكونَ مثْلَه أوَّلاً في النُّطق، فأمَّا أَن تتصورَ في الألفاظِ أن تكونَ المقصودةَ قبلَ المعاني بالنَّظم والترتيبِ، وأن يكونَ الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرًا نظْم الألفاظ، أو أن تحتاجَ بَعْد ترتيبِ المعاني إلى فكْرٍ تستأنفُه لأن تجيءَ بالألفاظِ على نَسَقها، فباطلٌ منَ الظنَّ، ووهْمٌ يُتخيَّل إلى من لا يُوفي النظرَ حقَّه. وكيف تكونُ مفكِّراً في نظم الألفاظ، وأنت لا تعقل لها أوصافاً وأحوالاً إذا عرفتَها عرفتَ أنَّ حقها أَن تُنْظَم على وجه كذا؟"[1]

**وقد وهم من رأى خلافًا جوهريًا بين الشيخين الجرجاني والرافعي:** ذلك أن الإمام الجرجاني رأى أن سر الإعجاز في النظم القرآني يكمن في تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، ورأي الشيخ الرافعي أن سر إعجاز النظم يكون في الكلمة والحرف داخل الآية

**وكلاهما محقٌ في قوله** ذلك لأن الكلمة بمفردها في غير القرآن تكون غير معجزة بالمرة لأن العرب يتكلمون بها وترد في كلامهم ولا عجب فالقرآن نزل بلسانهم واستعمل مفردات حديثهم فلو كان المراد بالتحدي أن يأتي العرب

[1]) دلائل الإعجاز (ص٥٣/١)

بكلمات مفردة مثل التي جاءت بالقرآن لقدروا على ذلك ليس فصحاؤهم وبلغاؤهم فقط وإنما أضعفهم وأقلهم لغة وبيانًا ولم يكن وقتها للتحدي معنى ولا فائدة، إذًا التحدي لم يكن في ورود الكلمة لأنها مستعملة عندهم لأنها لو لم تكن مستعملة في لغتهم لما كان هناك وجه أو معنى للتحدي إذ كيف يتحداهم بما لا علم لهم به من كلمات غريبة عنهم وعن لغتهم وإنما كان الإعجاز في نظم الكلمة داخل الآية القرآنية على هذا النسق والنظم الذي جاء به القرآن وتأديتها للمعنى المناسب لنسق الآية بحيث لو وضع لفظ آخر يفيد نفس المعنى لاختل النظم، وأن الإعجاز فيها يَرجعُ إلى ارتباطِ هذه الكَلِم بعضِها ببعضٍ، ويحصل من مجموعها وهذا مكمن التحدي، ومظهر الإعجاز.

**قال الجرجاني:**" وهل تَجد أحداً يقولُ: "هذه اللفظةُ فصيحةٌ"، إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟"[١]

وهو المعنى الذي أكد عليه بقوله:" فقد اتَّضحَ إذن اتَّضاحاً لا يَدَعُ لِلشكِ مجالاً، أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ."[٢]

**ثم بين رحمه الله أن الذي يجعل اللفظ فصيحًا مقبولًا بليغًا السياق الذي ورد فيه اللفظ**

وأن سر أعجاز النظم هو الإتيان بهذا اللفظ المترتب على المعنى المراد إيصاله لذلك قال:" اللفظ الواحد يقع مقبولا، ومكروها، وممَّا يَشهد لذلك أَنَّك

---

[١]) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٤/١)

[٢]) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٥/١)

تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ، ثم تَراها بعينِها تَثْقُلُ عليكَ وتُوحِشُك في موضعٍ آخرَ."[١]

**وعليه فرأي الإمام الرافعي يكون مخالفًا لكلام الجرجاني لو فهم** أنه يريد البحث عن سر اختيار كل كلمة في الآية دونًا عن غيرها مما يؤدي نفس معناها منفردة، ولا يُفهم من كلامه أبدًا أنه يريد البحث عن فصاحة الكلمة بمفردها بعيدا عن موقعها في نظم الجملة أو الآية القرآنية فهذا لا يقول به طالب علم مبتدئ لا عملاق في البلاغة والأدب كالرافعي

**ولعلك تلمح ذلك** في قوله:" فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية. فأنت الآن تعلم أنَّ سر الإعجاز هو في النظم، وأنَّ لهذا النظم ما بعده، وقد علمتَ أنَّ جهات النظم ثلاث: في الحروف، والكلمات، والجُمل "[٢]

**وقال قبل ذلك**" والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة حروفٍ هي من الأصوات، وكلماتٍ هي من الحروف، وجُمَلٍ هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به."[٣]

**فهذا صريح واضح جلي أن الشيخ الرافعي يرى أن الإعجاز لا يكون في الكلمة بمفردها** وإنما لا تظهر بلاغتها ويلمع حسن نظمها إلا إذا ربطت بالسياق الواردة فيه

---

[١]) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٦/١)

[٢]) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص (١٤٦)

[٣]) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص (١٤٥)

الذي يمسكها بالآية التي وردت فيها، وأن جهات النظم تكون في الحروف والكلمات والجمل،

**وعليه فلا خلاف بين الشيخين** فالجرجاني يتحدث عن الجملة القرآنية بوجه عام المكونة من الحروف والكلمات والجمل وأنه لا يظهر الإعجاز فيها إلا بالبحث عن سر نظم الكلمة ووقوعها في الآية على هذه الصورة من حيث العموم أو الخصوص، التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير إلى آخر ما يقتضيه النظم القرآني ليكون معجزًا، وأن هذا الترتيب مبني على ترتيب المعنى أولًا، والشيخ الرافعي يرى الإعجاز في حسن النظم واختيار الكلمة والمفردة القرآنية ووضع داخل سياق الآية القرآنية الواردة فيها دون غيرها وأنها لو نزعت بمفردها خارج هذا السياق والنسق القرآني لفقدت إعجازها وسرها، ولو جيء بمرادف لها لاضطرب المعنى واختل النظم،

**ولعل هذا عين ما قصده الشيخ الجرجاني عند تأصيله لنظرية النظم القرآني.**

**وفي ذلك يقول الإمام ابن عطية:**" وأما التحدي بالنظم فبين أيضا أن البشر مقصر عن نظم القرآن إذ الله عز وجل قد أحاط بكل شيء علما، فإذا قدر الله اللفظة في القرآن علم بالإحاطة اللفظة التي هي أليق بها في جميع كلام العرب في المعنى المقصود، حتى كمل القرآن على هذا النظام الأول فالأول، ونحن نجد العربي ينقح قصيدته- وهي الحوليات- يبدل فيها ويقدم ويؤخر، ثم يدفع تلك القصيدة إلى أفصح منه فيزيد في التنقيح، فما كان قط في العالم إلا من فيه تقصير سوى من يوحي إليه الله تعالى، وميّزت فصحاء العرب هذا القدر من القرآن وأذعنت له لصحة فطرتها وخلوص سليقتها وأنهم يعرف بعضهم كلام بعض ويميزه من غيره، والقدر المعجز من القرآن ما جمع الجهتين: اطراد النظم والسرد، وتحصيل المعاني وتركيب الكثير منها في اللفظ القليل: فأما مثل قوله تعالى: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ **(الرحمن:**

٦٤ ) وقوله ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ **(المدثر: ٢١)** فلا يصح التحدي بالإتيان بمثله لكن بانتظامه واتصاله يقع العجز عنه."[١]

**حُسنُ النظم قد يستدعي الإتيان بكلمة غريبة بجوار أخرى غريبة**

إذا كان الشيخ الجرجاني، والرافعي ومن يقول قولهما يرون أن حسن النظم أن تأتي الألفاظ الفصيحة البليغة مرتبة على المعاني المرادة، فإن بعض العلماء رأى أن حسن وضع النظم قد يستلزم في بعض المواضع الإتيان بكلمة غريبة بجوار أخرى غربية فتكون الغرابة هي مظهر ومكمن البلاغة فيها ليحسن النظم وأنها لو جاءت مشهورة متداولة لما حسُن النظم فقال:" ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى، الأول: أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة كقوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ **(يوسف: ٨٥)** أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء فإنها أقل استعمالا وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار فإن "تزال" أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالا منها وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخيا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم ولما أراد غير ذلك قال: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم} فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها." [٢]

---

[١]) تفسير ابن عطية (٣/١٢٠، ١٢١)

[٢]) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/٢٩٩، ٣٠٠)

**المطلب الرابع: قضية النظم القرآني بين المفسرين والبلاغيين**

يظن كثير من الباحثين أن المفسرين الذين طبقوا نظرية النظم في تفاسيرهم أخذوها ونقلوها عن البلاغيين أمثال الشيخ الجرجاني أشهر من تكلم في نظرية النظم القرآني ولو نظروا في كتب التفسير وحديث المفسرين عن البلاغة القرآنية والذي يُعد النظم القرآني وجها من أبرز وجوهها وأهم وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، لعلموا أن المفسرين أسبق إلى الحديث عن النظم القرآني وأول من أشاروا إليه فلهم قصب السبق[1] في ذلك وجاء

---

[1]) ذلك أن أئمة من المفسرين أسبق للحديث عن النظم ومتقدمين على الشيخ الجرجاني منهم الإمام الطبري فالطبري متوفى (٣١٠هـ) والإمام الماتريدي (ت:٣٣٣هـ) والإمام السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، فهؤلاء المفسرين أسبق من الجرجاني إلى الحديث عن النظم القرآني واعتباره وجهًا من أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك أن ميلاد الشيخ عبد القاهر كان ٤٠٠هـ وكان من المفسرين المعاصرين له وربما أيضًا سبقوه إلى ذلك الإمام الثعلبي (ت: ٤٢٧)، والإمام مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ)، والإمام الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) والإمام القشيري (٤٦٥هـ) أما الإمام عبد القاهر توفي (٤٧١هـ) لكن الحق يقال وللأمانة العلمية ذكر بعض من المفسرين المتقدمين على الجرجاني أنهم استفادوا من كتب ألفت في نظم القرآن لبعض البلاغيين من هؤلاء الإمام الثعلبي فتجده يُصرح بذلك في مقدمة تفسيره أنه من بين مصادره والكتب التي اعتمد عليها في تفسيره (كتاب نظم القرآن) لأَبُي علي الْحَسَن بْن يحيى بْن نصر الجرجاني (ت قبل ٤٠٠هـ) ينظر: تفسير الثعلبي (٨٤/١) إلا أنه من الكتب المفقودة التي لم تصل إلى أيدينا وكانت معلومة متوفرة في عصرهم، وكان الجاحظ من أقدم من ألف في إعجاز القرآن (ت ٢٥٥هـ) له كتابه «نظم القرآن». وسبق الجاحظ الى هذا الفن الكسائي (ت ١٨٩هـ) والذي ألّف كتابا في «الهاءات المكنى بها في القرآن الكريم». وكتب بعدهما ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وألف كتابا في نظم القرآن ردّ فيه على الجاحظ باعتبار الجاحظ معتزليًا، وألّف أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ) كتابا سماه (نظم القرآن وتستمر كتابات المؤلفين في إعجاز ==

البلاغيون من بعدهم فبنوا على أقوالهم وصاغوا كلام المفسرين عن النظم وصبوه في قوالب منتظمة تُظهر وتبرز أهم ملامح نظرية النظم القرآني وتفصيل الكلام فيها، ففتحوا الباب أمام المفسرين المعاصرين لهم والذين جاءوا من بعدهم لتطبيق نظرية النظم القرآني في تفاسيرهم والإشارة إلى ذلك.

وكان من أوائل المفسرين وأقدمهم حديثًا عن النظم شيخ المفسرين وإمامهم صاحب أقدم تفسير وصل إلينا كاملًا **(الإمام الطبري) رحمه الله تعالى**

قال عن النظم:" ومن أشرفِ تلك المعاني التي فَضَل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله، نظْمُه العجيبُ ورصْفُه الغريب وتأليفُه البديع؛ الذي عجزتْ عن نظم مثْلِ أصغرِ سورة منه الخطباء، وكلَّت عن وَصْف شكل بعضه البلغاء، وتحيَّرت في تأليفه الشُّعراء، وتبلَّدت –قصورًا عن أن تأتي بمثله لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرار بأنه من عند الواحد القهار."[1]

---

==

القرآن حتى نصل إلى تطور نظرية الإعجاز عند الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في (بيان إعجاز القرآن»، والرماني (ت ٣٨٤هـ) في (النكت في اعجاز القرآن) والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن» وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ). وبرجوعي إلى طبقات المفسرين وجدت أن الداوودي ذكر أن من المفسرين من صنف كتبًا في نظم القرآن منهم أحمد بن سهل البلخي (ت:٣٢٢هـ) ومنهم الحسن بن على بن نصر الطوسي (٣٠٨هـ) وعبد الله بن سليمان بن الأشعث (ت:٣١٠هـ) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (٤٤/١، ١٤٢، ٢٣٦) أقول: على الرغم من كون البعض يرى أن البلاغيين أسبق من المفسرين، وهو غير دقيق فالإمام الطبري سبق الجميع، وحتى على فرض أن بعضهم سبقه، فإن كتبهم مفقودة غير موجودة، وعليه فالسبق للمفسرين، وأيًا ما كان فالكل جهده مشكور ومن الله مأجور.

١)) تفسير الطبري (١٩٩/١)

**٢- الإمام الماتريدي:**

قال:" ثم القرآن قصد به الوجهان جميعا: ضبط حروفه ونظمه، وتعرف ما أودع فيه من المعاني؛ إذ صار حجة بنظمه ولفظه، وبالمعاني المودعة فيه."[١]

**٣- الإمام السمرقندي:**

قال في تفسير قوله تعالى ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ : " أي بمثل هذا القرآن على نظمه وإيجازه ونسقه مع كثير مما ضمن فيه من الأحكام والحدود وفنونها."[٢]

**٤- الإمام الثعلبي:**

كثيرًا ما تراه يتحدث عن النظم خلال تفسيره فتجده يقول:" القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما، وفي الآية تقديم وتأخير نظمها، واختلف العلماء في نظم هذه الآية وحكمها"[٣] ليس هذا فقط وإنما يُرجح بين الأقوال بمناسبة الكلام للنظم فيقول:" والقول الأول أصوب وأليق بنظم الآية."[٤]

**٥- الإمام مكي بن أبي طالب:**

تجده يقول في تفسيره:" وهذه القصة فيها ثلاثة فصول من النظم مختلفة."[٥]

١)) تفسير الماتريدي (٣٤٦/١٠)

٢)) تفسير السمرقندي (٣٢٨/٢)

٣)) تفسير الثعلبي (١٦٥/١، ٢٣١)، (١٨٠/٢)، (١٣/٣)

٤)) تفسير الثعلبي (٢٤٢/٧)

٥)) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٨٩٠/٣)

**٦- الإمام الماوردي:"**

فتجده عندما يتحدث عن وجوه إعجاز القرآن الكريم يقول:" وإذا كان القرآن بهذه المنزلة من الإعجاز في نظمه ومعانيه، احتاجت ألفاظه، في استخراج معانيها إلى زيادة التأمل لها وفضل الرويَّة فيها، ولا يقتصر فيها على أوائل البديهة، ولا يقنع فيها بمبادئ الفكرة، ليصل بمبالغة الاجتهاد وإمعان النظر إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل."[١]

**٧- الإمام ابن عطية**

يقول في تفسيره: " الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى"([٢])

**٨- الإمام القرطبي**

يقول:" ووجوه إعجاز القرآن عشرة: منها النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها. ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب. ومنها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز."[٣] وإذا كان علماء التفسير اهتموا

---

١)) تفسير الماوردي (٣٤/١)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١/ ٥٢) بتصرف.

(٣) تفسير القرطبي (٧٣/١-٧٥) بتصرف.

بالكلام عن النظم القرآني فإن كثيرًا من علماء علوم القرآن لم يفتهم الحديث عن النظم منهم:

**١- الإمام الزركشي**

ذكر ما ذكره ابن عطية وزاد عليه فقال:" الوجه الثامن: ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم ولهذا لم يمكنهم معارضته، وأن نظم القرآن ليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا." (١)

**٢- القاضي عياض:**

"من وجوه إعجاز القرآن أولها: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته لخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم

الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلمات إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه (٢)

**٣- الإمام السيوطي:**

نقل الإمام السيوطي عبارة القاضي عياض وزاد عليها قوله:"

---

(١) البرهان (٢/٩٧-٩٩)

(٢)الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض(ت:٥٤٤هـ) (١/ ٢٥٨، ٢٦٤) بتصرف.

الوجه الرابع من وجوه إعجازه: مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني. ([1])

**وأكد الامام السيوطي على وجه إعجاز نظمه فقال في الاتقان:**

" وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته."([2])

**٤- الشيخ الزرقاني:**

عدَّ من وجوه إعجازه:" لغته وأسلوبه، وطريقة تأليفه."[3]

وما أجمل عبارة الأستاذ الدكتور محمد السيد جبريل:" (لذلك كان نظم القرآن أعدل الآراء في وجوه الإعجاز وبيان سببه، وهذا الرأي هو الذي مال إليه الحذاق من أهل الصنعة، وأخذ به الجمهور من العلماء)([4])

**المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالنظم وكونه من أهم وجوه الإعجاز القرآني.**

**١- هل يدخل الجن والملائكة في تحدي إعجاز القرآن الكريم؟**

إن قلت: إنما وقع العجز في الإنس دون الجن؟

فالجواب أن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه، وإنما ذكروا في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ (**الإسراء: ٨٨**( تعظيما لشأنه، لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس

---

(١) معترك الأقران للسيوطي (٢٣/١، ٤٣)

(٢)الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت:٩١١هـ) ( ٩/٤) بتصرف

٣)) مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٣٣٢، ٣٤٠) بتصرف.

(٤)عناية المسلمين ص٤٣.

للأفراد، فإذا فرِض إجماع الثقلين، وظاهر بعضهم بعضا، وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز.

**وقال بعضهم: بل وقع للجن أيضاً والملائكة منويون في الآية، لأنهم لا يقدرون أيضاً على الإتيان بمثل القرآن.** إنما اقتصر في الآية على ذكر الجن والإنس، لأنه-ﷺ- كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة(١).

وقال آخر:" والله عز وجل لم يقصر التعجيز عن الإتيان بمثل القرآن على الإنس والجن لأن الملائكة تقدر على الإتيان بمثله، ولكن لأن الرسالة كانت إلى الإنس والجن، فوقع التحدي للفريقين، فأما الملائكة فلم يتحدوا عن ذلك لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم لم يكن القرآن حجة عليهم، فنبئوا أكانوا قادرين على مثله أو عاجزين؟ وهم عندنا عاجزون، وأما نظم القرآن فإنه ليس من جنس نظم كلام الناس، ولكنه مباين لهذا فلا يُهْتَدى إليه فَيُحْتَذَى ويُمَثَّل، فهو كتركيبِ الجواهرِ غيرِ الأجسامِ لتصيرَ أجساما، ولا على قلب الأعيان ولا يقدرون عليه من ذلك، والملائكة لا يقدرون عليه كذلك. وفي ذلك ما أبان أن نظم القرآن ليس من عند جبريل لكنه من عند اللطيف الخبير. وأضيفُ أنه ما كان التحدي إلا مواجهة لإنكار كون القرآن من عند الله ولا يتصور أن يكون من الملائكة مثل ذلك الإنكار، وبالتالي لا يتصور مجابهتهم بالتحدي {﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ

(١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٦٤١/١) وينظر: معترك الاقران للسيوطي ( ٧/١)

ٱلْحَكِيمُ ﴾ **(البقرة: ٣٢)** أن هذا التحدي للثقلين جميعا إنسهم وجنهم متظاهرين تحد مستمر قائم إلى يوم الدين. ([1]).

**٢- هل يقال إن غير القرآن من كلام الله معجز كالتوراة والإنجيل؟**

الجواب: ليس شيء من ذلك معجزاً في النظم والتأليف، وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب. وإنما لم يكن معجزاً لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن، ولأنّا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع في القرآن، ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز."([2])

**٣- أساطين البلاغة عجزوا عن معارضته أو الإتيان بمثله :**

ويروي التاريخ أن أبا العلاء المعري وأبا الطيب المتنبي وابن المقفع حدثتهم نفوسهم مرة أن يعارضوا القرآن فما كادوا يبدؤون هذه المحاولة حتى انتهوا منها بتكسير أقلامهم وتمزيق صحفهم لأنهم لمسوا بأنفسهم وعورة الطريق واستحالة المحاولة وأكبر ظني وظن الكاتبين من قبلي أنهم كان يعتقدون من أعماق قلوبهم بلاغة القرآن وإعجازه من أول الأمر وإنما أرادوا أن يضموا دليلا جديدا إلى ما لديهم من أدلة ذاقوها بحاستهم البيانية من باب ولكن ليطمئن قلبي ويا ليت شعري إن لم يتذوق أمثال هؤلاء بلاغة القرآن وإعجازه فمن غيرهم؟! ([3])

---

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لحسن عبدالفتاح (من ص٥٤-٥٦) بتصرف.

(٢) ينظر: معترك القران للسيوطي (١٠/١)

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٣٣٥/٢)

قال الإمام الماوردي:" حكي أن ابن المقفع طلب أن يعارض القرآن، فنظم كلاما، وجعله مفصلا، وسماه سورا، فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ **(هود: ٤٤)** فرجع، ومحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبدا، وما هو من كلام البشر، وكان فصيح أهل عصره."[١]

### ٤- هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة؟

اختلف في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة قال القاضي فذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك على النبي -ﷺ- يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم بالاستدلال: قال: والذي نقوله إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالا وكذلك من ليس ببليغ فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله.([٢])

### ٥ - هل المقصود من التحدي الإتيان بمثل القرآن مطابقًا لمعانيه؟

إن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله مفتريات، هو هذا الضرب من البيان الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر. وأن هذا التحدي لم يُقْصَدْ به الإتيان

---

[١]) تفسير الماوردي (٣١/١)

(٢) الاتقان في علوم القرآن (٢١/٤)

بمثله مطابقا لمعانيه، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه، من كل معنى أو غرضٍ مما يعتلج في نفوس البشر."[١]

### ٦ – ما المقصود بالتعجيز هل بيان عجزهم فقط أم ماذا؟

قال الزرقاني:" ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول –ﷺ– الذي جاء به رسول صدق وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ولكن للأزمة وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة."[٢]

### ٧– النظم القرآني من أهم وجوه الترجيح عند اختلاف أقوال المفسرين:

اتخذ بعض من المفسرين النظم القرآني وجهًا من وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين عند اختلافهم في تفسير الآية من ذلك قول الإمام السمعاني عند تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾(البقرة: ٢٣٧ ( إن المُرَاد بِهِ: الزَّوْج، وَقَالَ ابْن عَبَّاس: أَرَادَ بِهِ الْوَلِيّ وَهُوَ الْأَلْيَق بنظم الْآيَة."[٣]

ومنه عباراته "وَهَذَا أقرب إِلَى نظم الْآيَة"[٤]

---

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن لحسن عبدالفتاح (من ص٥٤-٥٦) بتصرف.

(٢) مناهل العرفان (٣٣١/٢)

٣)) تفسير السمعاني (٢٤٢/١) وتكرر ذلك في (٢١٣/٢)

٤)) تفسير السمعاني (١٥/٢)

**ويقول شيخنا الأستاذ الدكتور محمد جبريل -رحمه الله تعالى-**

إذا عرفنا أن إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول -ﷺ- فيما جاء به قومه من الرسالة، ودعاهم إليه من الإسلام، وعليه فإن حقيقة الإعجاز وهى إثبات العجز لمن وقع عليه التحدي استلزمت إظهار هذا العجز، وهذا الإظهار بدوره استلزم إظهار صدق رسول الله -ﷺ- وهو المقصود الأول من الإعجاز[١]

**وعليه فالنظم القرآني** يعد أهم وجهٍ من وجوه الإعجاز القرآني وهو الذي وقع عليه التحدي وما أجمل كلام الإمام الزمخشري في بيان ذلك: «النظم هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر».[٢]

من منطلق هذه المقدمة التي لم يكن بُدٌ ولا مفرٌ من التعرض لها أردت تطبيق هذه النظرية على تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين لأبرز أوجه إعجاز النظم القرآني فيها ولأقف على أهم أسرار النظم القرآني فيها مستعينًا بالله تعالى طالبًا منه العون والمدد

---

(١)عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم – محمد السيد جبريل (ص: ٧)

(٢) الكشاف للزمخشري (٣ /٦٣).

**المبحث الثاني: من أسرار النظم القرآني في سورة الإخلاص.**

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ **(الإخلاص: ١ – ٤)**

**قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾**

لم تَفُح أسرار النظم القرآني من خلال ثنايا أحرف وكلمات وآيات هذه السورة الكريمة وفقط وإنما تلمح ذلك حتى من اسمها فالسورة من أولها إلى آخرها تُجيب عن سؤال سأله المشركون لرسول الله –ﷺ–عن حقيقة الله وماهيته ومع ذلك تجد السورة سميت بسورة الإخلاص والسؤال الذي يلوح في الأفق ويتبادر إلى الذهن.

**ما مناسبة اسم السورة لموضوعها ما علاقة الإخلاص بالتوحيد؟**

**الجواب: في تسميتها بسورة الإخلاص ثلاثة أوجه:**

أحدها: لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب الله. الثاني: لأن فيها إخلاصًا لله من كل عيب ومن كل شريك وولد، قاله عبد الله ابن المبارك. الثالث: لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي."[1]

الرابع: لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبية[2] التي هي صفات الجلال، ولأن من اعتقده كان مخلصا في دين الله، ولأن من مات عليه كان

---

١)) تفسير الماوردي (٦/٣٧١)

٢)) هي الصفات التي تنفي عن الله معنى لا يليق بجلاله وكماله، مثل وصفه تعالى بأنه الواحد والأول والآخر، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه غير مفتقر ولا محتاج إلى غيره. ينظر: مقومات الإسلام/ للإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب (ص ٦٦)

خلاصه من النار، ولأن ما قبله خلص في ذم أبي لهب فكان جزاء من قرأه ألا يجمع بينه وبين أبي لهب."[١]

وقال آخر " ولشرف هذه السورة سميت بأسماء كثيرة أشهرها الإخلاص لأنها تخلص العبد من الشرك أو من النار. وقد يقال لها سورة التفريد أو التجريد أو التوحيد أو النجاة أو الولاية لأن من قرأها صار من أولياء الله أو المعرفة."[٢]

**ما سر افتتاح السورة بقوله ﴿قُلْ﴾ ؟**

قلت: جرت عادة القرآن أن يأتي لفظ قل جوابًا عن سؤال سُئل عنه النبي– ﷺ–نحو قوله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ **(البقرة: ١٨٩)** ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ **(البقرة: ٢١٥)** ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ **(البقرة: ٢١٧)** ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ **(البقرة: ٢١٩)** إلى آخر المواضع التى ورد فيها لفظ (قل) مسبوقًا بسؤال،

وفي ذلك يقول الإمام الماتريدي:" ودل قوله: ﴿قُلْ﴾: أنه على أمر سبق عنه السؤال؛ فيكون في ذلك إجابة لما سبق عنه السؤال، وكذلك جميع ما

---

١)) تفسير الرازي (٣٥٧/٣٢)

٢)) تفسير النيسابوري (٥٩٤/٦)

في القرآن ﴿ قُلْ ﴾ ففيه أحد أمرين: إما إجابة عن أمر سبق عنه السؤال؛ فينزل بحق تعريف كل مسئول عن مثله. أو يكون الله – تعالى– إذ علم أنه – عليه السلام – أو من يتبعه يسأل عما يقتضي ذلك الجواب"[١]

أو أن افتتاح هذه السورة بالأمر بالقول لإظهار العناية بما بعد فعل القول."[٢]

**ولكن الملاحظ هنا أن السورة افتتحت بالجواب مباشرة دون ذكر السؤال فما السر في ذلك؟**

الجواب: إذا كانت عادة القرآن جرت بذكر السؤال قبل الجواب، فإن هذا لا يعني حتمية أو فرضية ذلك في كل المواضع وإنما امتاز القرآن دونًا عن غيره من الكتب الإلهية كالتوراة والإنجيل بنوع من البلاغة جميل وهو التنوع والتفنن في العرض فتارة يذكر السؤال متبوعًا بجوابه، وتارة يذكر الجواب دون ذكر السؤال كما هنا إما لقرب زمن السؤال كما هنا سُأل ونزل عليه الوحي في وقتها، لأنه قد يتأخر عنه الجواب أيامًا كما حدث عندما اختبره كفار قريش بعد تلقين اليهود لهم أسئلة له –ﷺ–ليتأكدوا من نبوته كان منها سؤاله عن الفتية أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين وعن الساعة فتأخر الجواب عنه –ﷺ–خمس عشرة ليلة.

**وقد يذكر الجواب دون السؤال ليلفت نظر القارئ والمستمع ليسأل ما السؤال الذي سئل عنه النبي–ﷺ–لينزل عليه هذا الجواب؟**

وهنا يظهر بوضوح دور ذكر سبب النزول في تفسير الآيات

---

١)) تفسير الماتريدي (١٠/٦٤٣)

٢)) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٦١٢)

ذكر المفسرون أكثر من رواية في سبب نزول السورة منها:

١-أن المشركين قالوا لرسول الله-ﷺ-: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة. عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ -ﷺ-: "يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾"[١]

٢-عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي -ﷺ-فقال عامر: إلام تدعونا يا محمد؟ قال: «إلى الله»، قال: صفه لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة."[٢]

٣-جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي -ﷺ-فقالوا: صف لنا ربك يا محمد لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ممن يرث؟ ومن يورثها فأنزل الله هذه السورة."[٣]

**لعلك تلحظ أن التناقض بين الروايات واضح جلي** فالرواية الأولى تفيد أن السورة مكية، والرواية الثانية ليست سببًا في نزول سورة الإخلاص والرواية الثالثة تفيد أن السورة مدنية لأن النبي لم يخالط اليهود إلا في المدينة بعد

---

١)) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٣/٣٥) حديث رقم(٢١٢١٩) اسناده ضعيف.

٢)) هذه الرواية على الرغم من استشهاد بعض المفسرين بها على أنها سبب نزول سورة الإخلاص إلا أنه بتتبع الرواية تبين لي أنها ليست سببًا في نزول سورة الإخلاص وإنما كانت سببًا في نزول قوله تعالى" {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد: ١٣] ينظر: السنن الكبرى للنسائي (١٣٧/١٠) حديث رقم(١١١٩٥)، والإمام الواحدي في أسباب النزول ص(١٩٨) والدر المنثور (٤٠٨/٨) وغيرهم على أنها ليست سببًا في نزول سورة الإخلاص وإنما كانت سببًا في نزول آية سورة الرعد.

٣)) ينظر: تفسير البغوي (٣٢٩/٥، ٣٣٠)

الهجرة، ومعلوم لدى الجميع إجماع أهل العلم أن سورة الإخلاص مكية، هكذا كتب في المصحف، وبذلك تترجح الرواية الأولى. لكن عند تتبع الرواية الأولى التي تفيد نزولها في مكة تجد أن أهل العلم حكموا عليها بالضعف[1]،

**وهنا يقع القارئ في حيرة شديدة لم تتبق إلا الرواية التي تفيد أنها مدنية والمجمع عليه أنها مكية! فكيف نرفع موهم الاختلاف والتناقض هذا؟**

الجواب: أنه إذا كان بعض أهل العلم قد ضعفوا رواية أبي بن كعب، فإن هناك منهم من قال بصحتها[2] وبالمتابعات والشواهد تقوى رواية أبي بن كعب فهناك رواية أخرى تفيد نزولها في مكة وهي صحيحة أخرجها صاحب مجمع الفوائد فقال:" وعن جابر قال: قالوا: يا رسول الله أنسب لنا ربك. فنزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها. رواه الطبراني في الأوسط ورواه أبو يعلى إلا أنه قال: إن أعرابياً أتى النبي –ﷺ–فقال: انسب الله. رجاله رجال الصحيح."

**وكذلك وجدت رواية عنده تفيد الجمع بين سؤال المشركين أو الأعرابي في مكة وبين سؤال اليهود في المدينة** جاء فيها: أن عبد الله بن سلام قال لأحبار يهود: إني أحدث بمسجد أبينا إبراهيم وإسماعيل عهداً. فانطلق إلى رسول الله –ﷺ–وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله –ﷺ–بمنى والناس حوله فقام مع الناس فلما نظر إليه رسول الله –ﷺ–قال:

---

١)) قال الشيخ شعيب الأرنؤط عنه عند تحقيقه لمسند الإمام أحمد: إسناده ضعيف.

٢)) قال الحاكم في المستدرك:" هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وتعليق الذهبي في التلخيص: صحيح (المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٢٩/٣) حديث رقم (٣٩٨٧).

"أنت عبد الله بن سلام؟". قال: قلت: نعم. قال: "ادن". فدنوت منه قال: "أنشدك بالله يا عبد بن سلام أما تجدني في التوراة رسول الله-ﷺ-؟". فقلت له: انعت ربنا. قال: فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله -ﷺ-فقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فقرأها علينا رسول الله -ﷺ-فقال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. رواه الطبراني ورجاله ثقات."[١] وزاد الطبراني في المعجم الكبير" ثم انصرف ابنُ سلامٍ إلى المدينةِ، فكتم إسلامَهُ."[٢] **وبذلك يطمئن القلب إلى أنها مكية وليست مدنية.**

**ولقائل أن يقول ربما تكون سورة الإخلاص مما تكرر نزوله من القرآن فيصدق عليها أن تكون سورة مكية، كما يصدق أن يطلق عليها سورة مدنية.**

**قلت:** إن كان هذا جائز وواقع في بعض سور القرآن كالفاتحة مثلًا إلا أني لا أرجح ذلك مع سورة الإخلاص لسببين

**الأول:** لو كان النبي -ﷺ-سُئل هذا السؤال بمكة وأوحى الله إليه الجواب لكان عنده سابق علم به فإذا سأله اليهود في المدنية لحضره الجواب لأن الله أعلمه به في مكة، وما احتاج إلى نزولها عليه مرة أخرى ليجيبهم.

---

١)) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥٦/٧)

٢)) ينظر: المعجم الكبير للطبراني (٣٢٢/١٤) حديث رقم (١٤٩٥٥) وقال عنه رجاله ثقات

**الثاني:** لا يستقيم سؤال اليهود عن أمر سَأله المشركون في مكة قبل أكثر من عشر سنوات، وخاصة أنهم سمعوا السورة في قراءة المسلمين لها بعد الهجرة فسؤالهم عنها بعد علمهم بها لكونها لا تخفى على أحد يُعد منقصة في حقهم وقدحًا في عقلهم وأراهم ما كانوا يقبلون بمثل هذا والله أعلم.

**ما سر الإتيان بضمير الشأن[1] (هو)؟ لماذا لم يقل الله لنبيه -ﷺ- (قل الله أحد)؟**

**الجواب:** لم يرد هذا التركيب البليغ بهذه الصورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ في طول القرآن وعرضه وكثرة آياته إلا في هذا الموضع الوحيد في القرآن الكريم، وقد ورد هذا التركيب ولكن من غير (هو) فجاء هكذا ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ في أربعة عشر موضعًا في القرآن الكريم، وهنا يحق لك أن تتسأل ما الفرق بين التركيبين؟ ولماذا خُص موضع سورة الإخلاص بهذا التركيب؟

**لو دققت النظر في تلك المواضع** ستجد أنها جاءت جوابًا إما عن أسئلة تخص بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء نحو قوله ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ **(النساء: ١٢٧)** ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾النساء: ١٧٦ ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ **(الأنعام: ١٩)** ونحو قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ **(يونس: ٢١)** وقد يأتي بعد طرح سؤال على الناس نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ

---

١)) ضمير غائب يقع قبل الجملة إن كان مذكرا يسمى ضمير الشأن، وإن كان مؤنثا يسمى ضمير القصة، ولا يستعمل إلا في أمر يراد منه التعظيم والتفخيم، وإنما سمي ضمير الشأن لأنه لا يدخل إلا على جملة عظيمة الشأن نحو: {قل هو الله أحد} فإن أحديته جليلة عظيمة." ينظر: الكليات لأبي البقاء الحنفي (ص٥٧٠)

ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ **(الأنعام: ٩١)** ونحو قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ **(يونس: ٣٤)** ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ **(يونس: ٣٥)** ونحو جوابه عن المدة التي لبسها فتية الكهف ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ **(الكهف: ٢٦)** ولما تحدث النبي -ﷺ- عن أمر العبادة قال ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ **(الزمر: ١٤)** ولما تحدث عن أمر البعث والنشور والحساب قال ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **(الجاثية: ٢٦)**

**أما سورة الإخلاص** فكان السؤال فيها عن ماهية الله تعالى عن حقيقة الله تعالى عن ذات الله تعالى ولعلك تذكر أن أسباب نزول السورة تؤيد هذا الجواب لذلك جاء ب ﴿ هُوَ ﴾ هنا لبيان أنه جواب عن سؤالهم عن ذات الله تعالى وحقيقته لجهلهم، فكان الجواب بالصفات لتعالي الذات عن إدراك ماهيتها.

**ولقائل أن يقول** ولكن ورد هذا الجواب في موضع سؤال عن الله في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ **(الرعد: ١٦)** وفي قوله تعالى ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ **(سبأ: ٢٤)**

**والجواب:** موضع الرعد كما سبق وقلت أن تركيب ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ يأتي عادة في الجواب عن سؤال يسأله القرآن لهم ابتداءًا والسؤال هنا ليس سؤالًا عن الماهية وإنما سؤال عن الربوبية الله للسماوات والأرض وسؤال عن خالقهما،

وكذلك موضع سبأ سؤال عن الرازق وليس سؤالًا عن الماهية والذات، أما سؤال سورة الإخلاص فكان عن حقيقة الله تعالى عن ماهيته لذلك ناسب أن يبدأ الجواب بقوله ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ وكأن الله يقول لنبيه قل لهم الذي سألتموني وصفه هو الله والله أعلم.

**أو الجواب** كما قال الطبري:" وقال: هو الله جواب لكلام قوم قالوا له: ما الذي تعبد؟ فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ﴾ ثم قيل له: فما هو؟ قال: هو أحد."(١)

**وقال صاحب التحرير والتنوير** "وضمير هو ضمير الشأن لإفادة الاهتمام بالجملة التي بعده، وإذا سمعه الذين سألوا تطلعوا إلى ما بعده. ويجوز أن يكون هو أيضا عائدا إلى الرب في سؤال المشركين حين قالوا: انسب لنا ربك."(٢)

**ولقائل أن يقول: ما سر رجوع ضمير الشأن ﴿هُوَ ﴾ إليه تعالى مع أنه لم يسبق له ذكر؟!**

"أجيب بأن معنى قولهم هو ضمير الشأن أنه ضمير راجع إليه وموضوع موضعه وللإيذان بأن من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل مشير وعليه يعود كل ضمير."(٣)

**ما سر عدم عطف قوله ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ على ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ بحرف عطف؟**

---

١)) تفسير الطبري (٦٨٨/٢٤)

٢)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦١٢/٣٠)

٣)) روح المعاني للآلوسي (٥٠٨/١٥)

قالوا: " وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها:"[١]

يعني:" إن كونه تعالى صمدا نتيجة متفرعة على أحديته ووجه كونها كالدليل على الأولى أن من كان صمدا وملجأ لأرباب الحاجات لابد وأن يكون في أعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك يستلزم الأحدية." [٢]

**سر التعبير بقوله ﴿أَحَدٌ﴾**

**لقائل أن يقول لماذا عبر الله بقوله ﴿أَحَدٌ﴾ ولم يقل (واحد) مثلًا؟**

الجواب: فرق بين الواحد والأحد: الواحد: الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر. والأحد: الفرد الذي لا يتجزأ، ولا يقبل الانقسام. فالواحد: هو المتفرد بالذات في عدم المثل. والأحد: المتفرد بالمعنى. وقيل: المراد بالواحد: نفي التركيب والاجزاء الخارجية والذهنية عنه تعالى، وبالأحد: نفي الشريك عنه في ذاته وصفاته. وقيل: الواحدية: لنفي المشاركة في الصفات، والأحدية لتفرد الذات.

**وقد يفرق بينهما في الاستعمال من وجوه:**

أحدها: أن الواحد يستعمل وصفا مطلقا، والأحد يختص بوصف الله تعالى نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

---

(١) تفسير البيضاوي (٣٤٧/٥).وبنحوه قال الشهاب والقونوي.

(٢) حاشية زاده (٦١٥/٤، ٦١٦). وقال الشهاب:" إفادة تعريف الطرفين للحصر يشعر بأن من لم يتصف بالصمدية لا يستحق الالوهية، وأن الألوهية للصمدية لأنه إنما يعبد لكونه محتاجا إليه دون العكس." حاشية الشهاب (٤١١/٨) وقال الإمام القونوي بقوله (٤٩٧/٢٠)

الثاني: أن الواحد أعم موردا، لأنه يطلق على من يعقل وغيره، والأحد لا يطلق إلا على من يعقل.

الثالث: أن الواحد يجوز أن يجعل له ثان، لأنه لا يستوعب جنسه بخلاف الاحد ألا ترى أنك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقاومه اثنان، ولا أكثر.

الرابع: أن الواحد يدخل في الحساب، والضرب، والعدد والقسمة، والأحد يمتنع دخوله في ذلك.

الخامس: أن الواحد يؤنث بالتاء، والأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال تعالى: " ﴿ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ **(الأحزاب: ٣٢)** ولا يجوز: كأحد من النساء، بل: كواحدة.

السادس: أن الواحد لا يصلح للإقرار والجمع، بخلاف الأحد فإنه يصلح لهما، ولهذا وصف بالجمع قوله تعالى: ﴿ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ **(الحاقة: ٤٧)**"[1]

قال صاحب تهذيب اللغة:" وأما اسم الله جل ثناؤه أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال رجل أحد ولا درهم أحد، كما يقال رجل وحد أي فرد، لأن أحدا صفة من صفات الله التي استأثر بها، فلا يشركه فيها شيء، وليس كقولك: الله واحد، وهذا شيء واحد، لأنه لا يقال شيء أحد."[2]

**فإن قيل: لم قال ﴿ أَحَدٌ ﴾ على وجه النكرة، ولم يقل الأَحَدُ؟** قيل عنه جوابان: أحدهما: أنه حذف لام التعريف على نية إضمارها فصارت محذوفة

---

١)) معجم الفروق اللغوية (٥٦٥، ٥٦٦)

٢)) تهذيب اللغة (١٢٧/٥)

في الظاهر، مثبتة في الباطن، ومعناه قل هو الله الأحد. الثاني: أنه ليس بنكرة، وإنما هو بيان وترجمة."[١]

**قوله تعالى:** ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

**ما سر تكرير الاسم الجليل** ﴿ٱللَّهُ﴾ **في** ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ **وكان مقتضى الظاهر أن يقال: هو الصمد؟**

"يجوز أن يكون ﴿ ٱللَّهُ ﴾ بدلا من ﴿ ٱللَّهُ ﴾ الأول، وفي التكرير معنى التعظيم."[٢]

قال الإمام أبو السعود:" وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية."[٣]

وقال الإمام الآلوسي:" للتنبيه على أن كلّا من الوصفين مستقل في تعيين الذات."[٤]

وللإمام الرازي جواب آخر وهو" لو لم تكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ أحد وصمد أن يردا، إما نكرتين أو معرفتين، وقد بينا أن ذلك غير جائز، فلا جرم كررت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ أحد منكرا ولفظ الصمد معرفا."[٥]

**ولعل هذا الجواب يدفع لسؤال آخر وهو لم جاء** ﴿أَحَدٌ﴾ **منكرا، وجاء** ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ **معرفا؟**

---

١)) تفسير الماوردي (٣٧٠/٦)

٢)) الهداية الي بلوغ النهاية (٨٤٩٢/١٢)

(٣) تفسير أبي السعود (٢١٢/٩). ولعله نقلها من البيضاوي في تفسيره (٣٤٧/٥)

٤)) روح المعاني للآلوسي (٥١٣/١٥) بتصرف.

٥)) تفسير الرازي (٣٦٣/٣٢)

الجواب: الغالب على أكثر أوهام الخلق أن كل موجود محسوس، وثبت أن كل محسوس فهو منقسم، فإذا ما لا يكون منقسما لا يكون خاطرا بيان أكثر الخلق، وأما الصمد فهو الذي يكون مصمودا إليه في الحوائج، وهذا كان معلوما للعرب بل لأكثر الخلق على ما قال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾**(الزخرف: ٨٧)** وإذا كانت الأحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق، وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، لا جرم جاء لفظ أحد على سبيل التنكير ولفظ الصمد على سبيل التعريف."[١]

**ما سر تخصيص اسم الله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ دونًا عن سائر أسمائه تعالى بعد اسم الجلالة الله؟!**

قال الإمام الرازي:" الله الصمد يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله، وإذا كان الصمد مفسرا بالمصمود إليه في الحوائج، أو بما لا يقبل التغير في ذاته لزم أن لا يكون في الوجود موجود هكذا سوى الله تعالى، فهذه الآية تدل على أنه لا إله سوى الواحد، وقوله: الله الصمد إشارة إلى كونه واحدا، بمعنى نفي الشركاء والأنداد والأضداد."[٢]

وصيغة الله الصمد صيغة قصر بسبب تعريف المسند فتفيد قصر صفة الصمدية على الله تعالى، وهو قصر قلب لإبطال ما تعوده أهل الشرك في الجاهلية من دعائهم أصنامهم في حوائجهم والفزع إليها في نوائبهم حتى نسوا الله."[٣]

---

١)) تفسير الرازي (٣٦٣/٣٢)

٢)) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٦٣/٣٢)

٣)) التحرير والتنوير (٦١٨/٣٠)

اشتملت هذه الآية على اسمين من أسماء الله تعالى، يتضمنان جميع أوصاف الكمال، وهما الأحد والصمد، لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة، الموصوفة بجميع أوصاف الكمال. وبيان ذلك، أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال، لأنه انتهى إليه سؤدده، فكان مرجع الطلب منه وإليه. ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع صفات الكمال، وذلك لا يصلح إلا لله تعالى."[١]

**فإن قال قائل ما سر ورود أسماء الله تعالى على هذا الترتيب الله – أحد – الصمد؟**

بدأ بألوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وإرشادا لهم إلى سننه الواضح."[٢]

**قوله تعالى:** ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾

**ما سر التعبير ب ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ولم يقل (لن يلد)؟**

قلت: معلوم أن (لم) تدخل على الفعل المضارع فتفيد نفيه في الماضي والحاضر، أما (لن) فتدخل على الفعل المضارع وتفيد نفيه في المستقبل.

---

١)) الجدول في الاعراب (٤٢٦/٣٠)

٢)) تفسير أبي السعود (٢١٣/٩)

ولذلك قال الإمام البيضاوي:" لعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده رداً على من قال الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم."[1]

**فإن قال قائل: لم قدم قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ على قوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴾ مع أن في الشاهد يكون أولاً مولودا، ثم يكون والدًا فالمولودية أسبق؟!**

قلت: المولودية أسبق في حق المخلوقات لا في حق الله كما أن المقصود من الآية الرد على من زعموا وقالوا ولد الله فقُدم ما حقه التقديم في الرد عليهم.

**وكان جواب الإمام الرازي:** " إنما وقعت البداءة بأنه لم يلد، لأنهم ادعوا أن له ولدا، وذلك لأن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والدا فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ثم أشار إلى الحجة فقال: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ كأنه قيل: الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولدا لغيره."[2]

وبين صاحب التحرير والتنوير السر في تقديم نفي الولد فقال:" وإنما قدم نفي الولد لأنه أهم إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدا."[3]

---

([1]) تفسير البيضاوي (٣٤٧/٥)، وينظر: حاشية الشهاب (٤١٣/٨).

([2]) مفاتيح الغيب (٣٦٣/٣٢، ٣٦٤)

٣)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦١٩/٣٠)

**فإن قال قائل وهل نفي الولد عن الله في الماضي يُشعر بإمكانية تحققه في المستقبل؟**

قال الشيخ زادة:" وعدم التعرض بأنه لا يلد في المستقبل مبني على أن المقصود من الآية تكذيبهم في قولهم ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ **(الصافات: ١٥٢)** وأن الملائكة بنات الله وأن المسيح ابن الله وكذا عزير ومرجع الجميع أنه تعالى ولد في الزمان الماضي ولو كان المقصود بيان زعمهم أنه لا يلد في شيء من الأزمنة الثلاثة لما صح الاقتصار على لفظ الماضي."[١]

وأجاب الإمام الرازي عن ذلك فقال:" إنما اقتصر على ذلك لأنه ورد جوابا عن قولهم ولد الله والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ **(الصافات: ١٥١ – ١٥٢ )**فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم إنما قالوا ذلك في الماضي، لا جرم وردت الآية على وفق قولهم."[٢]

**أقول:** ومما يؤكد على معنى قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ما نطق به قوله سبحانه وتعالى من نفي الصاحبة عنه وأنه ليس له من جنسه صاحبة فيتوالدا قال تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ **(الأنعام: ١٠١)**

**ولسائل أن يسأل فيقول: لم قال هنا ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ وقال في سورة الإسراء ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ ؟**

---

(١) حاشية زادة (٦١٦/٤).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٦٤/٣٢)

الجواب: أن الولد يكون على وجهين: أحدهما: أن يتولد منه مثله وهذا هو الولد الحقيقي والثاني: أن لا يكون متولدا منه ولكنه يتخذه ولدا ويسميه هذا الاسم، وإن لم يكن ولدا له في الحقيقة، والنصارى فريقان: منهم من قال: عيسى ولد الله حقيقة، ومنهم من قال: إن الله اتخذه ولدا تشريفا له، كما اتخذ إبراهيم خليلا تشريفا له، فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيه إشارة إلى نفي الوالد في الحقيقة، وقوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إشارة إلى نفي القسم الثاني، ولهذا قال: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ **(الإسراء: ١١١ )**لأن الإنسان قد يتخذ ولدا ليكون ناصرا ومعينا له على الأمر المطلوب، ولذلك قال في سورة أخرى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾**(يونس: ٦٨)** وإشارة إلى ما ذكرنا أن اتخاذ الولد إنما يكون عند الحاجة."[1]

**ولقائل أن يقول: ما سر الإتيان بقوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ مع أنهم معترفون بمضمونه ولم يقل به أحد منهم؟**

قال الإمام أبو السعود:" ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعهود أن ما يلد يولد ومالا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد."[2]

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٦٤/٣٢) ولذلك بيَّن صاحب التحرير والتنوير أن من أسرار ورود قوله (لم يلد) بعد قوله (الله الصمد) لأن من يصمد إليه لا يكون من حاله أن يلد لأن طلب الولد لقصد الاستعانة به في إقامة شؤون الوالد وتدارك عجزه. ينظر: التحرير والتنوير(٦١٨/٣٠)

٢)) تفسير أبي السعود (٢١٣/٩)

أو هو بمنزلة الاحتراس[١] سدًا لتجويز أن يكون له والد، فأردف نفي الولد بنفي الوالد."[٢]

**قلت:** ومن الممكن أن يكون السر نفي الحدوث عنه سبحانه وتعالى وبيان أنه ليس بمُحْدَثٍ، وأنه لم يكن فكان، وذلك لأن كل مولود إنما وجد بعد أن لم يكن لكنه سبحانه قديم لا يَبِيدُ وَلا يَفْنَى.

**أو** أن قَوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فِيهِ نفي لقَوْل النَّصَارَى: إِن مَرْيَم – عَلَيْهَا السَّلَام – ولدت إِلَهًا، وَهُوَ الْمَسِيح عليه السلام."[٣]

**قوله تعالى:** ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

**لسائل أن يسأل الكلام العربي الفصيح حقه أن يؤخر الظرف ولا يقدم، فأصل الكلام (ولم يكن له أحدٌ كُفواً) فما باله مقدّما في أفصح كلام وأعربه؟**

" هذا الكلام إنما سيق لنفى المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه، وأحقه بالتقدم وأحراه."[٤]

---

١)) الاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. التعريفات للجرجاني (ص١٣) واحترس منه أي احترزمنه.

٢)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦١٩/٣٠)

٣)) تفسير السمعاني (٣٠٤/٦)

٤)) الكشاف للزمخشري (٨١٨/٤، ٨١٩) وبمثله قال البيضاوي في تفسيره (٣٤٧/٥) وتبعه الشهاب في حاشيته (٤١٣/٨)، والقونوي في حاشيته أيضًا (٤٩٩/٢٠) وذكره الإمام الرازي في مفاتيح الغيب (٣٦٥/٣٢) والإمام النسفي في تفسيره (٦٩٥/٣، ٦٩٦).

ولقد رأى الإمام الماوردي ملمحًا آخر وسرًا آخر من أسرار التقديم والتأخير فقال:" قدم خبر كان على اسمها لتتساق أواخر الآي على نظم واحد."[١]

وهو الذي عبر عنه صاحب زاد المسير بقوله: "قدّم وأخّر لتتّفق رؤوس الآيات."[٢]

**ولسائل أن يسأل ما سر ترتيب النظم الكريم لهذه الثلاثة على هذا النحو ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ؟!**

الجواب:" وقوع هذه الجمل الثلاث متعاطفة دون ما عداها من هذه السورة لأنها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وهذه أقسامها لأن المماثل إما ولدا أو والدا أو نظيرا فلتغاير الأقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هي مقتضى قواعد المعاني."[٣]

**وقد يقول قائل:" إن قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقتضي نفي الولد والكفؤ فلم نصَّ على ذلك بعده؟**

الجواب أن هذا من التجريد، وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم، كقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ **(البقرة: ٩٨ )** ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار. والآخر

---

١)) تفسير الماوردي (٣٧٢/٦)

٢)) زاد المسير (٥٠٦/٤)

(٣) حاشية الشهاب (٤١٣/٨).

الإيضاح والبيان، فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا. وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار، وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم."[١]

كما أنه فيه إبطال لمذهب المشركين حيث جعلوا الأصنام أكفاء له وشركاء له سبحانه وتعالى.

**وما أجمل ما قال الإمام الزمخشري في بيان سر الإتيان بسورة الإخلاص على هذا النظم** فقال:" ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها، وقوله ﴿ أَحَدٌ ﴾ وصف بالوحدانية ونفى الشركاء. وقوله ﴿ٱلصَّمَدُ ﴾ وصف بأنه ليس إلا مُحتاجًا إليه، وقوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وصف بالقدم والأوّلية. وقوله ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ نفى للشبه والمجانسة. وقوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ تقرير لذلك وبت للحكم به."[٢]

**ورأى** البعض فيها وجه أعجاز وهو:" هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله جل وعلا عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية، ونفت التعدد ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وأثبتت الثانية كماله تعالى، ونفت النقص والعجز ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه ونفت الذرية والتناسل ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وأثبتت الرابعة عظمته وجلاله ونفت الأنداد والأضداد ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فالسورة

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٥٢٥/٢).

٢)) الكشاف للزمخشري (٨١٨/٤) بتصرف

إثبات لصفات الجلال والكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص."[1]

**من بين مظاهر اعجاز النظم في سورة الإخلاص: ورود فرائد قرآنية فيها**

فاسم الله ﴿أَحَدٌ﴾ و ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ لم يرد إلا في هذا الموضع على طول القرآن وعرضه بخلاف باقي أسماء الله الحسنى والتى تكررت كثيرا في مواضع مختلفة ولعل السر في عدم تكرار الصمد والأحد أنهما من الأسماء التي تفرد الله بها وذلك لأنه سبحانه هو وحده المقصود عند الحوائج فليس في الوجود صمد سوى الله وكذلك كل واحد له ثان أما هو سبحانه فليس له ثان ولا يقبل القسمة و ليس في ذاته تركيب ولا تأليف بوجه من الوجوه. والله أعلم

١)) صفوة التفاسير (٣/٥٩٦)

**المبحث الثالث: من أسرار النظم القرآني في سورة الفلق.**

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ **(الفلق: ١ – ٥)**

**قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾

**هل معنى ﴿قُلْ﴾ هنا يقال فيها مثل ما قيل في ﴿قُلْ﴾ في سورة الإخلاص؟**

قال صاحب التحرير:" الأمر بالقول يقتضي المحافظة على هذه الألفاظ لأنها التي عينها الله للنبيء –ﷺ–ليتعوذ بها فإجابتها مرجوة، إذ ليس هذا المقول مشتملا على شيء يكلف به أو يعمل حتى يكون المراد: قل لهم كذا كما في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وإنما هو إنشاء معنى في النفس تدل عليه هذه الأقوال الخاصة."[١]

**فإن قال قائل بدأت السورة ب(قل) أي يا محمد فهل هذا يعني أن الأمر بالاستعاذة فيها خاص بالنبي –ﷺ–خاصة أن من أسباب نزولها أنها نزلت لفك السحر عن النبي –ﷺ–أم أنه عام يشمل النبي –ﷺ– وغيره من المسلمين؟**

معلوم أن ما أمر الله به نبيه أن يستعيذ به منه في السورة سواء من شر ما خلق من الليل إذا أقبل ومن شر السحر والسحرة، ومن شر الحسد

١)) التحرير والتنوير (٦٢٥/٣٠)

والحاسدين لم يكن أمرًا خاصًا به صلى الله عليه دونًا عن سائر البشر وإنما هي أمور يشترك فيها كل البشر ويتعرضون لها فإن قال قائل ولكن سبب النزول يشير إلى أن المعوذتين نزلتا في فك سحر النبي، قلت-ﷺ- حتى وإن كان كذلك فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لذلك يدخل كل أفراد الأمة في هذا الأمر وإن كان ظاهرة أمر النبي -ﷺ- بصيغة المخاطب المفرد ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ ولم يقل (قولوا نعوذ)

**قلت:** ولعل هناك سر آخر وهو أنه يجوز أن يرقي الشخص نفسه بنفسه فيقرأ السورة على نفسه وكأن السورة خطاب لكل مسلم، وقد صح عنه -ﷺ- أنه كان يقرأ بها ويرقي نفسه -ﷺ-.

**ولعل هذا ما دفع الإمام ابن عطية لقوله** بأن "الخطاب للنبي-ﷺ-، والمراد هو آحاد أمته."[1] **وأكد ذلك الإمام البقاعي** فقال:" ﴿قُلْ﴾ أي لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق تعليماً لهم وأمراً، فإنهم كلهم مربوبون مقهورون لا نجاة لهم في شيء من الضرر إلا بعصمته سبحانه وتعالى."[2]

وما أجمل جواب الإمام الطاهر بن عاشور:" والخطاب ب ﴿قُلْ﴾ للنبيء -ﷺ-وإذ قد كان قرآنا كان خطاب النبيء -ﷺ-به يشمل الأمة حيث لا دليل على تخصيصه به، فلذلك أمر النبيء -ﷺ-بعض أصحابه بالتعوذ بهذه السورة ولذلك أيضا كان يعوذ بهما الحسن والحسين كما ثبت في «الصحيح»[3]، فتكون صيغة الأمر الموجهة إلى المخاطب مستعملة في

---

١)) تفسير ابن عطية (٥/٥٣٨)

٢)) نظم الدرر للبقاعي (٢٢/٤٠٧)

٣)) أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب أحاديث الأنبياء:" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: " إِنَّ أَبَاكُمَا ==

معنيي الخطاب من توجهه إلى معين وهو الأصل، ومن إرادة كل من يصح خطابه وهو طريق من طرق الخطاب تدل على قصده القرائن، فيكون من استعمال المشترك في معنييه. "[١]

**قوله تعالى:** ﴿أَعُوذُ﴾

﴿أَعُوذُ﴾ أي أستجير وألتجئ وأعتصم وأحترز."[٢]

**فإن قال قائل ما سر استعمال صيغة التكلم في فعل أعوذ؟**

قال الإمام الطاهر بن عاشور:" يتبع ما يراد بصيغة الخطاب في فعل قل فهو مأمور به لكل من يريد التعوذ بها."[٣]

**ولسائل أن يسأل فيقول: ما سر الأمر بالاستعاذة هنا؟**

يفسر هذا الأمر ما اشتملت عليه السورة من شرور الخلق والذي منه إدبار النهار وإقبال الليل بالكثير من الشرور وشر السحرة وما يقتدرون به على

---

==

كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ "(ح رقم٣٣٧١) (١٤٧/٤) ولقائل أن يقول لم يرد ذكر هنا للمعوذتين فكيف يقول ابن عاشور أن النبي كان يرقيهما بالمعوذتين؟ قلت: لعل الشيخ ابن عاشور أراد برقية النبي للحسن والحسين بالمعوذتين ما ورد في ابن ماجة في سننه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْإِنْسَانِ، وَعَيْنِ الْجَانِّ، حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا» قال المحقق صحيح رجاله ثقات (٥٤٤/٤/٣٥١١) وأخرجه الترمذي (٤٦٣/٣/٢٠٥٨) وقال حديث حسن غريب.

١)) التحرير والتنوير (٦٢٥/٣٠، ٦٢٦)

٢)) نظم الدررللبقاعي (٤٠٧/٢٢)

٣)) التحرير والتنوير (٦٢٦/٣٠)

أذية الخلق، وكذلك شر الحاسدين إذا حسدوا فكلها شرور يجب على العبد أن يلجأ ويعتصم ويستعين ويتحصن بالله منها وذلك لأنها أمور لا تُدفع إلا به سبحانه وتعالى لذلك كان الأمر بالاستعاذة فلو لم يكن لشرهن تأثير لم يؤمر بالاستعاذة من شرهن فهي شرور إن وقعت لا تُرفع إلا بإذنه تعالى والاستعانة به لذلك أمر بالاستعاذة.

**فإن قيل وما سر التعبير بالرب ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ﴾ دون الله عند الأمر بالتعوذ لماذا لم يقل مثلًا: قل أعوذ بالله؟**

لم يقل (قل أعوذ بالله) مع أنه أشرف الأسماء، وأن لفظ الرب قد يطلق على غيره، أضف إلى ذلك أنه لما أمرنا بالاستعاذة في القرآن جرت أن تكون باسم الله من ذلك قوله تعالى﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **(الأعراف: ٢٠٠)** ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ **(النحل: ٩٨)** ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ **(غافر: ٥٦)** ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ **(فصلت: ٣٦)**

**لعل السر** في ذلك يكمن فيما ذكره الإمام البيضاوي:" ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار تربية."[1]

---

([1]) تفسير البيضاوي (٣٤٨/٥) قال الشيخ زاده:" فكأنه أمر بأن يقول يا رب كما ربيتني من أول زمان تكويني إلى هذا الوقت بأنواع التربية فأدم تلك التربية بأن تحفظني فيما بقي من عمري ولا تقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك." حاشية زادة (٦١٨/٤) وبنحوه قال البقاعي في نظم الدرر (٤٠٧/٢٢).

وما أجمل جواب الإمام الرازي في تفسيره:" في قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ **(النحل: ٩٨ )** إنما أمره بالاستعاذة هناك لأجل قراءة القرآن، وإنما أمره بالاستعاذة هاهنا في هذه السورة لأجل حفظ النفس والبدن عن السحر، والمهم الأول أعظم، فلا جرم ذكر هناك الاسم الأعظم."[١]

وقال الإمام البقاعي:" الاستعاذة بالله بذكر اسمه {الرب} المقتضي للإحسان والتربية بجلب النعم ودفع النقم."[٢]

**قوله تعالى:** ﴿ٱلْفَلَقِ ﴾

ذكر الإمام الطبري في معنى الفلق أقوالًا كثيرة منها (هو سجن في جهنم، جُب في جهنم مغطًّى إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه، هو اسم من أسماء جهنم، الصبح فالق الإصباح، فَلق النهار، الخلق)

**ثم رجح** فيما بينها فقال:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه محمدًا -ﷺ-أن يقول: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ والفلق في كلام العرب: فلق الصبح، تقول العرب: هو أبين من فَلَق الصُّبح، ومن فرق الصبح. وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَق. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن جلّ ثناؤه وضعَ دلالة على أنه عُنِي بقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ بعض ما يُدْعَى الفلق دون بعض، وكان الله تعالى ذكره ربّ كل ما خلق من شيء، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفَلَق، إذ كان ربّ جميع ذلك."[٣]

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣٧١/٣٢).

٢)) نظم الدرر للبقاعي (٤١٩/٢٢)

٣)) تفسير الطبري (٧٠٢/٢٤)

**فيفهم** من كلام الإمام الطبري أن لفظ الفلق يصح إطلاقه على كل ما اسمه فلق، وقال الإمام الرازي بمثل قوله ورجحه[1] إلا أن المشهور في كلام العرب أن الفلق هو فلق الصبح.

ولذلك رأى بعض من المفسرين أن تخصيصه بفلق الصبح أظهر وأقوى وأرجح.

منهم الإمام السمعاني فقال:" فِيهِ أَقْوَال: أَحدهَا – وَهُوَ الْأَظْهر –: أَن الفلق هُوَ الصُّبْح، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ **(الأنعام: ٩٦ )**"[2]

وقال الإمام البغوي:" أراد بالفلق الصبح، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ **(الأنعام: ٩٦ )**"[3]

**فإن قال قائل وما سر تخصيص الفلق بالصبح؟**

قال الإمام البيضاوي: "وتخصيصه –أي الفلق بالصبح –لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار

---

١)) " الفلق عبارة عن كل ما يفلقه الله كالأرض عن النبات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ **(الأنعام: ٩٥ )**والجبال عن العيون: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾**(البقرة: ٧٤)** والسحاب عن الأمطار والأرحام عن الأولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف فهذا هو المراد من الفلق، وهذا التأويل أقرب." مفاتيح الغيب للرازي (٣٧٢/٣٢).

(٢) تفسير السمعاني (٣٠٥/٦).

(٣) تفسير البغوي (٣٣٤/٥).

بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه"[١]

قال الإمام القونوي:" العموم هو الأصل ويدخل فيه الصبح بل الليل دخولا أوليا لكن ما ذكر من تغيير الحال إلى آخر ما ذكره لا يفهم من العموم صريحا ولهذا قدمه صاحب الكشاف[٢] وتبعه صاحب الإرشاد[٣]." [٤]

إلا أن الشيخ الجليل رأى وجها آخر لتخصيص الصبح بالذات يرتبط بمقام الاستعاذة فقال:" إن التعميم وإن كان فيه مناسبة لهذا المقام إلا أن التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه آخر من حيث أن مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بأن يخرج من حال الخوف والخشية إلى فضاء الأمن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح أدل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها بإشراق أنوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته."[٥]

---

(١) تفسير البيضاوي (٣٤٨/٥) قال الإمام الشهاب:" لاختصاصه به عرفا." حاشية الشهاب (٤١٥/٨). قال الإمام أبو السعود:" الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعادة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وإما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه." إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢١٤/٩)

(٢) الكشاف للزمخشري (٨٢٠/٤).

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢١٤/٩).

(٤) حاشية القونوي (٥٠٥/٢٠)

(٥) حاشية زادة (٦١٨/٤).

**فإن قال قائل وهل حمل المعنى على العموم أفضل من التخصيص بالصبح؟**

**قلت:** إذا كان الإمام الزمخشري والإمام أبو السعود قد رأيا أن تخصيصه بالصبح أفضل لاختصاصه به عرفا، فإن الشيخ زاده يرى أن حمله على العموم أوفق وأفضل وأنسب لحسن النظم فيقول:" ولا شك أن تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات أعظم وأقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فإن المعنى على الأول قل يا محمد أعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى أن الصبح من جملة الأمور الداخلة في هذا العام فيكون التعظيم في حمل الفلق على جميع الممكنات أتم وأعظم."[١]

**أقول:** وبالرجوع إلى كتب التفسير تبين لي أن الكثير من المفسرين رجح أن يكون المعني بالفلق العموم لا الصبح خاصة منهم الإمام الطبري[٢]، والقرطبي[٣]، والمراغي[٤]

**وبالرجوع** إلى كتب اللغة تبين لي أن الفلق في كثير من معاجم اللغة العربية يطلق على فلق الصبح وكل ما يفلق ولم يخصص أحد منهم الفلق بالصبح

---

([١]) حاشية زادة (٦١٧/٤).

([٢]) تفسير الطبري (٧٠١/٢٤، ٧٠٢) بتصرف.

([٣]) قال:" فكل ما انفلق عن شي من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق، قال الله تعالى: فالق الإصباح [الانعام: ٩٦] قال: فالق الحب والنوى [الانعام: ٩٥]." تفسير القرطبي (٢٥٥/٢٠).

([٤]) تفسير المراغي (٢٦٧/٣٠).

فقط وإنما ذكر معظمهم أن بينهما عمومًا وخصوصًا فقال الإمام الهروي في تهذيب اللغة:" فالفلق: جميع المخلوقات. وفلق الصبح من ذلك."[١] وبنحوه قال ابن منظور [٢]

**فإن قيل وما وجه تخصيص وصف الله بأنه رب الفلق دون وصف آخر؟**

أجاب الإمام الطاهر بن عاشور فقال:" وتخصيص وصف الله بأنه رب الفلق دون وصف آخر لأن شرا كثيرا يحدث في الليل من لصوص، وسباع، وذوات سموم، وتعذر السير، وعسر النجدة، وبعد الاستغاثة واشتداد آلام المرضى، حتى ظن بعض أهل الضلالة الليل إله الشر."[٣]

**قوله تعالى:** ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

**فإن قال قائل وهل يصدر عن الله شر حتى يأمرنا بالاستعاذة منه أليس كل ما يصدر عن الله خير؟!**

قال الإمام الشهاب:" لا يصدر عنه شر فإن صدر بأمره تعالى كما يفعله ملائكة العذاب فلم يصدر إلا لامتثال الأمر لا لقصد الشر من حيث هو شر فلا وجه لما قيل من أنه يجوز أن يكون ما يتوجه إلى الشخص من عالم الغيب شرًا."[٤]

وقال آخر:" وكلمة ما في قوله تعالى (من شر ما خلق) يجوز أن تكون موصولة وعائدها محذوف أي من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر

---

(١) تهذيب اللغة للهروي (١٣٢/٩).

(٢) لسان العرب (٣١٠/١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٦٢٦/٣٠)

(٤) حاشية الشهاب (٤١٥/٨)

وأن تكون مصدرية أي من شر خلقه بمعنى مخلوقه على أن يكون المصدر بمعنى المفعول."[1]

وما أجمل جواب الإمام الماتريدي:" وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يعني من شر خلقه؛ كما يقال: " من شر فعل فلان "، أي: من شر ما يفعله. والإضافة إليه بما هو خالق كل شيء من فعل خلقه، المكتسب من جهتهم، وأضيف إليه؛ لأن كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب إلى الله تعالى خلقا، وهو فعل المكتسب وكسبه."[2]

**فإن قال قائل من الخلق الذين يصدر عنهم الشر في قوله ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ؟**

قالوا:" من شر خلقه[3] من الجن والإنس "[4] ومن شر كل ذي شر."[5]

**وإذا كان الأمر كذلك فكيف يُعبر عن العاقل ب (ما) لماذا لم يقل (من شر من خلق)؟**

قال الإمام الرازي:" من شر ما خلق يريد من شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما، ويجوز أن يدخل فيه من يؤذيني من الجن والإنس أيضا ووصف أفعالها بأنها شر، وإنما جاز إدخال الجن

---

([1]) حاشية زادة (٤/٦١٨).

([2]) تفسير الماتريدي (١٠/٦٥٥) بتصرف.

([3]) الكشاف للزمخشري (٤/٨٢٠)

([4]) بحر العلوم للسمرقندي (٣/٦٣٦).

([5]) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١٢/٨٥٠٨).

والإنسان تحت لفظة (ما)، لأن الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلاء حسن استعمال لفظة (ما) فيه، لأن العبرة بالأغلب."[١]

وقال الإمام أبوحيان:" وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد، كالإحراق بالنار، والإغراق بالبحر، والقتل بالسم."[٢]

**وهنا قد يخرج علينا بعض الملاحدة فيقول:** إن المستعاذ منه إما أن يكون واقعًا بقضاء الله وقدره، وإما خارجًا عن قضاء الله وقدره، فإن كان الأول فكيف أمر بأن يستعاذ بالله منه، وذلك لأن ما قضى الله به وقدره واقع، فكأنه تعالى يقول: الشيء الذي قضيت بوقوعه، وهو لا بد واقع فاستعذ بي منه حتى لا أوقعه، وإن لم يكن بقضائه وقدره فذلك يقدح في ملك الله وملكوته وقدرته؟

الأمر الثاني: أن المستعاذ منه إن كان معلوم الوقوع فلا دافع له، فلا فائدة في الاستعاذة وإن كان معلوم اللاوقوع، فلا حاجة إلى الاستعاذة

وثالثها: أن المستعاذ منه إن كان مصلحة فكيف رغب المكلف في طلب دفعه ومنعه، وإن كان مفسدة فكيف خلقه وقدره؟!

أجاب الإمام الرازي عن ذلك فقال:" واعلم أن الجواب عن أمثال هذه الشبهات، أن يقال إنه: لا يسأل عما يفعل [الأنبياء: ٢٣]"[٣]

**وإن كان لضعيف مثلي** أن يقول فإني أقول: بأن كل ما في الكون من الشر وغيره من كل الأمور التي يتعرض لها العباد إنما بقضاء الله تعالى وقدره ولا

---

١)) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٢/٣٧٢)

٢)) البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٥٧٥)

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (٣٢/٣٧٣).

تخرج عن إرادته أبدا لأن ذلك يستلزم العجز والعجز عليه تعالى محال فثبت أنها ناتجة عن إرادته وقضائه وقدره ولكن ليس معنى أن الأمر بقضاء الله وقدره أن ذلك يمنع الإنسان من الاستعاذة منه بعدم إيقاعه أصلا، أو تخفيفه، أو رفعه بعد إيقاعه لأن ذلك كله واقع تحت إرادته وقدرته فالقادر على إيقاع الأمر وإنفاذه بإرادته هو الوحيد القادر على رفعه وإزاحته ولذلك كان من هديه -ﷺ-ومن دعائه ما رواه "الْحَسَنُ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ-كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ: " اللهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ "[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»"[2]

**ثم علمنا -ﷺ-أنه لا يرد القضاء والقدر إلا الدعاء**

عن ثوبان، قال: قال رسول الله - -ﷺ--: "لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق للخطيئة يعملها"[3] وعن

---

([1]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده/ مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين/ (٢٤٥/٣/١٧١٨) وقال المحقق: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات. وأخرجه

([2]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/ كتاب الدعوات/ باب التعوذ من جهد البلاء/ عن أبي هريرة/ (٧٥/٨/٦٣٤٧). وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه

([3]) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه/أبواب السنة/ باب في القدر/ ٦٨/١/٩٠) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط المحقق:" حسن لغيره دون قوله: "إن الرجل ليحرم الرزق للخطيئة يعملها"

سلمان قال: قال رسول الله-ﷺ-: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[١]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمَا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ لَيَلْقَى الْبَلَاءَ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢]

**وفي القرآن أمثلة على رد القضاء ورفعه بسبب الإيمان واللجوء والتضرع إليه** قال الله تعالى عن قوم سيدنا يونس عليه السلام لما تابوا وأنابوا وآمنوا : ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ **(يونس: ٩٨).**

**وحتى على فرض عدم صحة كل هذه الأحاديث** وهي صحيحة بالفعل فسأسلم لك أن القضاء لابد أن ينفذ ويقع بصاحبه فما فائدة الدعاء إذن أو الاستعاذة؟!

**قال ابن حبان جوابا ما أجمله وأحسنه وألطفه وأبرده لقلب المؤمن:**" وَدَوَامُ الْمَرْءِ عَلَى الدُّعَاءِ يُطَيِّبُ لَهُ وُرُودَ الْقَضَاءِ، فَكَأَنَّهُ رَدَّهُ لِقِلَّةِ حِسِّهِ بِأَلَمِهِ."[٣]

**وعليه** فالاستعاذة بالله من القضاء والقدر ودعاء الله أن يرفعه لا ينافي إرادة الله تعالى وقدرته بل هو عين بيان قدرة الله وإرادته لأن من يقدر على عدم

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه/ أبواب القدر/ باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء/ وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب من حديث سلمان لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن الضريس.( ١٦/٤/٢١٣٩)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك/ كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/١٨١٣/١/٦٦٩) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) صحيح ابن حبان (١٥٣/٣).

إيصال وقوع الأمر الذي قضاه بإرادته وقدرته هو دليل على عظيم إرادته وطلاقة قدرته في الإنفاذ وعدمه فيكون الملحد أو الطاعن أثبت طلاقة القدرة وعظيم الإرادة من حيث أراد أن ينفيها وأكون بذلك جعلت كلامه عليه لا له والله تعالى أعلى وأعلم.

**قوله تعالى:** ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾

ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل في تفسير الغاسق إذا وقب فذكر منها الليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب – دخل في الكسوف فاسودَّ –، ثم جمع بينها فقال:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله أمر نبيه –ﷺ–أن يستعيذ منها ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، كلّ غاسق، فإنه –ﷺ–كان يُؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب."[1]

وإذا كان الإمام الطبري يرى أنه عام في كل غسق ودخل في ظلامه فإن من المفسرين من خصه بالليل إذا دخل ظلامه

منهم الإمام البيضاوي قال:" إِذا وَقَبَ دخل ظلامه في كل شيء، وتخصيصه لأن المضار فيه تكثر ويعسر الدفع، ولذلك قيل الليل أخفى للويل. "[2] وتخصيص الليل الموصوف بالذكر مع اندراجه في عموم ما

---

١)) تفسير الطبري (٧٠٤/٢٤) بتصرف، وقال صاحب الهداية في بلوغ النهاية:" فالاستعاذة عامة من كل هذا، وهو الظاهر." (٨٥٠٩/١٢)

(٢) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٤٨) وبنحوه قال البقاعي في نظم الدرر (٤١١/٢٢).

خلق، هو من عطف الخاص."[١] وقال الإمام البقاعي:" وأكثر الأقوال أنه الليل."[٢]

**فإن قلت وما السر في تخصيصه بالذات؟! أليس قوله قبلها (من شر ما خلق) يتناول جميع الشرور المتعلقة بعالم الخلق سواء كانت طبيعية أو اختيارية؟!**

قال الإمام ابن عاشور:" لأن ذلك وقت يتحينه الشطار وأصحاب الدعارة والعيث، لتحقق غلبة الغفلة والنوم على الناس فيه."[٣] ولكثرة المضرات كالسباع والهوام والسراق والنهاب فإنهم ينتشرون ولأن عفاريت الجن ترسل في تلك الساعة."[٤]

**قوله تعالى:** ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾

والنفث: النفخ في العقد بلا ريق، والتفل: النفخ فيها بريق."[٥] وهذا النفث هو على عقد تعقد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيؤذى بذلك."[٦] ويزعم السحرة أن سحر المسحور يستمر ما دامت تلك العقد معقودة، ولذلك يخافون من حلها فيدفنونها أو يخبئونها في محل لا يهتدى إليه."[٧]

---

(١) حاشية الشهاب (٤١٥/٨) حاشية القونوي (٥٠٧/٢٠، ٥٠٨) بتصرف يسير.

٢)) نظم الدرر للبقاعي (٤١١/٢٢)

(٣) التحرير والتنوير (٦٢٧/٣٠).

(٤) حاشية القونوي (٥٠٨/٢٠). وبمثله قال الشيخ زاده في حاشيته(٦١٩/٤).

٥)) تفسير الماوردي (٣٧٦/٦)

٦)) تفسير ابن عطية (٥٣٩/٥)

٧)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦٢٨/٣٠)

**لقائل أن يقول ما سر تنكير غاسق، وحاسد في السورة وتعريف وتأنيث النفاثات وجمعها؟!**

أجاب الإمام أبو السعود فقال:" وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه."[١]

قال الإمام الزمخشري:" فإن قلت: فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ قلت: عرفت النفاثات، لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق، لأنّ كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرّ. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات[٢]. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: " لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ"[٣] وقال أبو تمام:

وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال: إنّ العلا حسن في مثلها الحسد."[٤]

---

١)) تفسير أبي السعود (٩/٢١٤)

٢)) نقل الإمام النسفي عبارة الإمام الزمخشري من أولها إلى هنا بتمامها ينظر: تفسيرالنسفي (٣/٦٩٨) ونقلها أبوحيان في تفسيره نصًا ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٥٧٧)

٣)) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه/ كتاب: العلم/ باب الاغتباط في العلم والحكمة/ ح رقم (٧٣) (١/٢٥) وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه / كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه./ ح رقم(٨١٥) (١/٥٥٨) وتمامه" لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا " واللفظ للبخاري.

٤)) الكشاف للزمخشري ٤/٨٢٢) وأصل البيت الأول وإنى لمحسود وأعذر حاسدي ... وما حاسدي في المكرمات بحاسد، وأصل البيت الثاني:" واعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلا حسن في مثلها الحسد.

**وقال صاحب نظم الدرر عن سر تعريف النفاثات وجمعها جمعًا مؤنثًا**

" ولما كان كل ساحر شريراً بخلاف الغاسق والحاسد، وكان السحر أضر من الغسق والحسد من جهة أنه شر كله، ومن جهة أنه أخفى من غيره، وكان ما هو منه من النساء أعظم[١] لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة، وهن أعرق في كل من هذه الصفات وأرسخ، وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالغ وجمع وأنث ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾."[٢]

**فإن قال قائل ولكن المشهور أن الذي سحر النبي -ﷺ-وكان سحره سببًا في نزول المعوذتين لفك هذا السحر هو لبيد بن الأعصم وهو رجل فلماذا كان التعبير بصيغة جمع المؤنث؟!**

قال ابن عطية:" ويقال إن الإشارة أولا إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي كن ساحرات وهن اللواتي سحرن مع أبيهم النبي -ﷺ-وعقدن له إحدى عشرة عقدة."[٣]

وقال السمعاني:" و ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ يُقَال: إنَّهُنَّ بَنَاته."[٤]

---

١)) ويقال: إنهنّ نساء كنّ في عهد رسول الله -ﷺ- سواحر، أمر النبي -ﷺ- بالاستعاذة منهنّ، لأنهنّ يوهمن أنهم ينفعن أو يضرّن ، فربما لحق الإنسانَ في دينه مأثم" الهداية إلى بلوغ النهاية (٨٥١١/١٢)

٢)) نظم الدرر للبقاعي (٤١١/٢٢)

٣)) تفسير ابن عطية (٥٣٨/٥) وبنحوه قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير (٥٠٩/٤)

٤)) تفسير السمعاني (٣٠٧/٦)

**قوله تعالى** ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

أما الحسد فهو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل ، فالحسد شر مذموم، والمنافسة رغبة مباحة."[١]

**لسائل أن يسأل ما سر تأخير الاستعاذة من الحسد بعد الاستعاذة من الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد؟!**

قال الإمام ابن عطية: " ذكر الله تعالى الشر في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخس طبع."[٢] وتنبيها على عظمه، وكثرة ضرره."[٣]

وقال الإمام النسفي:" وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من إبليس وفي الأرض من قابيل."[٤]

**وأما عن سر التعبير بأداة التحقيق** ﴿إِذَا حَسَدَ ﴾

قال الإمام البقاعي: "إشعاراً بأن من كان ثابت الحسد متمكناً من الاتصاف به بما أشعر به التعبير بالوصف تحقق منه إظهاره، ولم يقدر على مدافعته في الأغلب إلا من عصم الله تعالى."[٥]

**ولقائل أن يقول ما مناسبة ذكر الاستعاذة من الحسد بعد الاستعاذة من النفاثات في العقد؟!**

---

١)) تفسير الماوردي (٣٧٧/٦)

٢)) تفسير ابن عطية (٥٣٩/٥)

٣)) تفسير القرطبي (٢٦٠/٢٠)

٤)) تفسير النسفي (٦٩٨/٣)

٥)) نظم الدر للبقاعي (٤١٣/٢٢)

قال الإمام البقاعي:" ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد، وهو تمني زوال نعمة المحسود قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ ﴾ (١)

**وإذا كان الإمام البقاعي قد عقد مناسبة بين ذكر الاستعاذة من شر الحسد بعد شر النفاثات في العقد فإن الإمام الطاهر بن عاشور عقد مناسبة بين الثلاثة** فقال:" عطف شر الحاسد على شر الساحر المعطوف على شر الليل، لمناسبة بينه وبين المعطوف عليه مباشرة وبينه وبين المعطوف عليه بواسطته، فإن مما يدعو الحاسد إلى أذى المحسود أن يتطلب حصول أذاه لتوهم أن السحر يزيل النعمة التي حسده عليها ولأن ثوران وجدان الجسد يكثر في وقت الليل، لأن الليل وقت الخلوة وخطور الخواطر النفسية والتفكر في الأحوال الحافة بالحاسد وبالمحسود."(٢)

**ولقائل أن يقول: قوله ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟**

الجواب: هو من ذكر الخاص بعد العام للاعتناء بالمذكور."(٣)

وقال الإمام الرازي:" تنبيها على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر."(٤)

---

١)) نظم الدرر للبقاعي (٤١٢/٢٢)

٢)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٦٢٩/٣٠) وقال الزمخشري:" خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به. وقالوا: شر العداة المداجى الذي يكيدك من حيث لا تشعر." الكشاف للزمخشري (٨٢٢/٤)

٣)) صفوة التفاسير (٥٩٨/٣)

٤)) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٧٥/٣٢)

**ويلاحظ أن من أسرار نظمها تكرار قوله ﴿ مِن شَرِّ ﴾ ؟ فما السر في ذلك؟**

الجواب: "الإطناب بتكرار الاسم {شَرِّ} مراتٍ في السورة ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ الخ تنبيهاً على شناعة هذه الأوصاف."(١)

**فإن قال قائل: قد يتعوذ المرء بالله من هذه الشرور ومع ذلك ربما يصيبه شر من إقبال ظلمة الليل، أو يصيبه سحر، أو عين حاسد فما فائدة التعوذ إذًا؟**

قال الإمام البقاعي:" بطل بالأمر بالاستعاذة قول الجبرية: إنا كالآلة لا فعل لنا أصلاً، وإنما نحن كالحجر لا يتحرك إلا بمحرك، لأنه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن للأمر فائدة، وقول القدرية: إنا نخلق أفعالنا، وقول الفلاسفة: إنه – إذا وجد السبب والمسبب حصل التأثير من غير احتياج إلى ربط إلهي كالنار والحطب، لأنه لو كان ذلك لكانت هذه الأفعال المسببات إذا وجدت من فاعليها الذين هم الأسباب، أو الأفعال التي هي الأسباب، والمسببات التي هي الأبدان المراد تأثيرها أثرت ولم تنفع الاستعاذة، والشاهد خلافه، وثبت قول الأشاعرة أهل السنة والجماعة أنه إذا وجد السبب والمسبب توقف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى، فإن أنفذ السبب وجد الأثر، وإن لم ينفذه لم يوجد."(٢)

وقال الزحيلي:" لا يضرّ السحر والعين والحسد ونحو ذلك بذاته، وإنما بفعل اللَّه وتأثيره، وينسب الأثر إلى هذه الأشياء في الظاهر فقط، قال اللَّه تعالى

---

١)) صفوة التفاسير (٣/٥٩٨)

٢)) نظم الدرر للبقاعي (٢٢/٤١٥)

عن السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ **(البقرة: ١٠٢ )**، وبالرغم من انعدام تأثير هذه الأشياء في الحقيقة ومنها الأمراض المعدية كالطاعون والسل، فإنه يطلب شرعا الحذر والاحتياط وتجنب هذه الأسباب الظاهرية بقدر الإمكان، عملا بفعل عمر والصحابة في طاعون عمواس، والأمر باتقاء العين، والفرار من المجذوم."[١]

**ومن أسرار النظم في السورة:** توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات."[٢]

**المبحث الرابع: من أسرار النظم القرآني في سورة الناس.**

**قال تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ **(الناس: ١ – ٦ )**

تضمنت السورة كالفلق استعاذة ومستعاذاً به ومستعاذاً منه وأمراً بإيجاد ذلك، فالأمر: ﴿قُلْ﴾ والاستعاذة ﴿أَعُوذُ﴾والمستعاذ به هو الله سبحانه وتعالى."[٣]

**مناسبتها لسورة الفلق:**

"قال الإمام الطاهر بن عاشور:" شابهت فاتحتها فاتحة سورة الفلق إلا أن سورة الفلق تعوذ من شرور المخلوقات من حيوان وناس، وسورة الناس تعوذ من شرور مخلوقات خفية وهي الشياطين."[٤]

**قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾

---

١)) تفسير المنير للزحيلي (٤٧٦/٣٠)

٢)) صفوة التفاسير (٥٩٨/٣)

٣)) نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي (٤٢٥/٢٢)

٤)) التحرير والتنوير (٦٣٢/٣٠)

**ما سر تكرار الاستعاذة هنا مع أن المشهور أن السورتين نزلتا في وقت واحد؟!**

قال الإمام البقاعي:" وجعل التعويذ في سورتين إشارة إلى استحباب تكريره، وجعلتا إحدى عشرة آية ندباً إلى تكثيره في تكريره."[١]

**ولقائل أن يقول ما سر تقديم سورة الفلق على سورة الناس؟**

قال الإمام البقاعي:" وقدمت الفلق التي خمس آيات مع ما مضى المناسبات لأن اقترانها بسورة التوحيد أنسب، وشفعها بسورة الناس التي هي ست آيات أنسب، ليكون الشفع بالشفع، والابتداء بالوتر بعد سورة الوتر." [٢]

**قوله تعالى:** ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾

**فإن قال قائل: وما سر تخصيص الإضافة إلى الناس بالذات دونًا من سائر خلقه؟ لماذا لم يقل مثلًا (قل أعوذ برب الخلق) ليشمل الإنس والجن وغيرهما من جميع خلق الله تعالى خاصة وأن الضرر يقع من الإنس والجن وغيرهما من باقي المخلوقات؟**

قال الإمام الماتريدي:" لأن الذين عرف فيهم الأرباب والملوك والعبادات لمن دون الله – تعالى – هم الإنس دون غيرهم؛ فأمر أهل الكرامة بمعرفة الله – تعالى – والعصمة عن عبادة غيره، والاعتراف بالملك والربوبية له –: أن يفزعوا إليه عما ذكر، ذاكرين لذلك، واصفين بأنه الرب لهم، والملك عليهم، والمستحق للعبادة لا غير، أو أن المقصود من خلق هذا العالم هم الذين نزلت فيهم هذه السورة، وغيرهم كالمجعول المسخر لهم، قال الله – تعالى –:

---

١)) نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي (٤١٩/٢٢)

٢)) نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي (٤١٩/٢٢)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ **(البقرة: ٢٩ )**، وقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ﴾ **(الجاثية: ١٢ )**، فإذا قيل: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾، فكأنه قيل: " برب كل شيء "، لأن ما سواهم جعل لهم."(١)

وقال صاحب الهداية:" وخص الناس بالذكر وهو تعالى جل ذكره رب جميع الخلق وملِكُهم، لأن بعض الناس كان يُعَظِّم بعض الناس تعظيم المؤمنين ربهم، فأَعْلَمَهُم الله أنه رب من يعظمونه وملكهم يجري عليهم سلطانه وقدرته."(٢)

أما الإمام أبوالسعود فقد لمح ملمحًا جميلًا وهو أن في هذا النظم إرشاد إلى منهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى فإن توسل العائذ بربه وانتسابه إليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية من دواعي مزيد الرحمة والرأفة ثم قال" وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٣)"

**وإذا كان لضعيف مثلي أن يقول** فإني أقول: لأن شر الجن لا يتعدى إلى الإنس إلا باستدعاء بعض من البشر له ممن يجيدون تسخير الجن في إيذاء إخوانهم من الأنس وهو ما يقوم به السحرة، ومما يؤكد على ذلك أن هذه السورة والتي سبقتاها الفلق والإخلاص نزلت لعلاج النبي صلى الله

---

١)) تفسير الماتريدي (٦٦١/١٠)

٢)) الهداية إلى بلوغ النهاية (٨٥١٣/١٢)

(٣) أبوالسعود (٢١٦/٩).

عليه لما سُحرَ، وكان سحر النبي -ﷺ-بفعل لبيد بن الأعصم من اليهود وهو من الأنس، فكأن الله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى الاستعاذة من أصل الشر والسبب في إيصاله إلى الناس وهو شر الناس، فلولا سحر لبيد لما سُحر -ﷺ-.

**قوله تعالى:** ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾

**ما سر التعبير ب** ﴿ مَلِكِ ﴾ **و** ﴿ إِلَٰهِ ﴾ **؟**

قال الإمام الماوردي:" لأن في الناس ملوكاً، فذكر أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم."(١)

وقال الإمام البيضاوي: " ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ عطفا بيان له(٢) فإن الرب قد لا يكون ملكاً والملك قد لا يكون إلهاً(٣)، وفي هذا النظم دلالة على أنه حقيق بالإعاذة(٤) قادر عليها غير ممنوع عنها(٥)."(٦)

**وتكرار التعوذ هنا في السورة بعد وروده في سورة الفلق**

"إشعاراً بعظم الآفة المستعاذ منها." (٧)

---

١)) تفسير الماوردي (٣٧٨/٦)

(٢) معناه أي" لرب الناس" ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥٧٨/١٠)

٣)) معناه وكون الرب لا يكون ملكًا كرب العبد، وكون الملك غير إله كما في سائر ملوك الدنيا" حاشية الشهاب (١٠٥/٨)

(٤) فسره الشهاب فقال:"لأن المربي يحفظ من يربيه"الشهاب (١٠٥/٨).

(٥) معناه وكونه غير ممنوع من الإلهية لأنه لو عجز عن دفع الموانع لم يكن إلها إذ الإله منزه عن العجز"حاشية الشهاب (١٠٥/٨).

(٦) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٥٠)

(٧) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٥٠)

**ما سر تكرير لفظ النَّاسِ في ملك الناس إله الناس؟**

" لأن عطف البيان يحتاج إلى مزيد الإظهار، ولأن هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس، لأنه سبحانه كأنه عرف ذاته بكونه ربا للناس، ملكا للناس، إلها للناس."[١]

**فإن قال قائل: وما سر النظم الكريم في إيراد هذا الترتيب ( رب، ملك، إله) لماذا لم يقل مثلًا( إله الناس، رب الناس، ملك الناس)؟**

ما أجمل ما ذكره الإمام البقاعي في سر إيراد النظم الكريم على هذا الترتيب البديع فقال:" ولما كان الرب الملك متقاربين في المفهوم، وكان الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف والتربية، وكان الملك للقهر والاستيلاء وإظهار العدل ألزم، وكان الرب قد لا يكون ملكاً فلا يكون كامل التصرف، اقتضت البلاغة تقديم الأول وإتباعه الثاني، فقال تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان، وإليه المفزع وهو المستعان، والمستغاث والملجأ والمعاد. ولما كان الملك قد لا يكون إلهاً، وكانت الإلهية خاصة لا تقبل شركاً أصلاً بخلاف غيرها، أنهي الأمر إليها وجعلت غاية البيان فقال: ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ إشارة إلى أنه كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك أحد، فكذلك هو وحده إلههم لا يشركه في إلهيته أحد، وهذه دائماً طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بتوحيدهم له

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٢/٣٧٧) وبنحوه قال البيضاوي في تفسيره = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٥٠)

في الربوبية والملك على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، فمن كان ربهم وملكهم فهم جديرون بأن لا يتألهوا سواه ولا يستعيذوا بغيره"[1]

**فإن قال قائل: ما سر النظم الكريم في إظهار لفظ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ لِمَ لَمْ يكتف بإظهار المضاف إليه ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مرة واحدة بأن يقال (برب الناس ملكهم إلههم؟**

أورد الإمام البقاعي سرًا بلاغيًا جميلًا فقال:" وكرر الاسم الظاهر ﴿ٱلنَّاسِ﴾ دون أن يضمر فيقول مثلاً: {ملكهم} {إلههم} تحقيقاً لهذا المعنى وتقوية له بإعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضي للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضي للغنى المطلق، ودلالة على أنه حقيق بالإعاذة قادر عليها لبيان أنه المتصرف فيهم من جميع الجهات وبياناً لشرف الإنسان ومزيد الاعتماد بمزيد البيان، ولئلا يظن أن شيئاً من هذه الأسماء يتقيد بما أضيف إليه الذي قبله من ذلك الوجه، لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه، فأشير بالإظهار إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشيء أصلاً"[2]

**وذكر الإمام أبو السعود سرًا آخر** فقال:" وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة"[3]

---

([1]) نظم الدرر للبقاعي (٢٢/٤٢٦، ٤٢٧) وبنحوه قال الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي شيخ زاده (٤/٦٢٢).

([2]) نظم الدرر للبقاعي (٢٢/٤٢٧، ٤٢٨)

([3]) تفسير أبي السعود (٩/٢١٦).

وقال الإمام النسفي:" ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ عطف بيان لرب الناس لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه."[١]

وقال الزحيلي:" والسبب في تكرار لفظ النَّاسِ هو مزيد البيان والإظهار، والتنويه بشرف الناس مخلوقات الله تعالى، وقال: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ مع أنه ربّ جميع المخلوقات، فخصّ الناس بالذّكر للتشريف، ولأن الاستعاذة لأجلهم."[٢]

**فإن قال قائل وما سر إيراد قوله ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ مع أن ذلك قد يفهم مما سبقه من قوله( رب الناس، وملك الناس)؟**

قال الشيخ زاده:" لما كان ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ أخص من رب الناس صح أن يكون موضحًا له وأن يقلل اشتراكه إلا أنه لم يصح أن يكون معينًا له لأن ملك الناس قد يطلق على من يدبر أمرهم مع كونه بمعزل عن الألوهية فبينه بقوله ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتعيين لأن لفظ إله مفردًا كان أو مضافًا لا يطلق على غيره تعالى لأن الألوهية مختصة به تعالى"[٣]

**قوله تعالى:** ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾

---

١)) تفسير النسفي (٦٩٩/٣)

٢)) التفسير المنير (٤٨١/٣٠)

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي (٦٢١/٤، ٦٢٢).

هو الشيطان وسمي بذلك لأنه :" يوسوس لدى الغفلة، ويخنس عند ذكر الله تعالى، أي: يخرج ويذهب."[1]

**قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾

**ما سر وصف الوسواس الخناس ب الذي يوسوس في صدور الناس؟**

قال الإمام الطاهر ابن عاشور:" لتقريب تصوير الوسوسة كي يتقيها المرء إذا اعترته لخفائها، وذلك بأن بين أن مكان إلقاء الوسوسة هو صدور الناس وبواطنهم فعبر بها عن الإحساس النفسي كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ **(الحج: ٤٦)** وقال تعالى: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾**(غافر: ٥٦).**

وقال النبيء-ﷺ-: «الإثم ما حاك في الصدر وتردد في القلب»|[2]."[3]

**لماذا خص الصدور بالذكر، لماذا لم يقل (يوسوس في آذان الناس) حتى يناسب معنى الوسوسة؟**

---

١)) تفسير الماتريدي (١٠/٦٦٢)

٢)) لم أقف في كتب السنة على حديث بهذا اللفظ وإنما ورد ما يفيد معناه منه ما روي عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه/ كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: تفسير البر والإثم/ ح رقم(٢٥٥٣) (٤/١٩٨٠)

٣)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠/٦٣٤)

" وإنما ذكر الصدور لأنها تحتوي على القلوب، والخواطر محلها القلب، كما هو المعهود في كلام العرب."[١]

**وإن كان لمثلي أن يقول** فإني أرى أنه خص الصدر بالذات دون الأذن مع ذكر الأذن مناسب للوسوسة، لأن الوسوسة هنا ليست على حقيقتها خاصة إذا كانت من الشيطان فما من أحد من الموسوس إليهم سمع يومًا صوت الشيطان وهو يوسوس له وإنما هو أمر يشعر به المرء يتحرك في قلبه فيرتسم كلامًا يتصوره العقل من غير صوت حسي، لذلك ناسب ذكر الصدر لوجود القلب فيه.

**ولك هنا أن تقول لي إذا كانت الوسوسة من الشيطان تلقى في القلب فلم لم يوسوس في قلوب الناس؟**

**قلت:** ذكر الصدر ذكر للقلب لأنه مكانه ومصدر حمايته، أو أنه يفيد معنى آخر وهو أن الوسوسة المستعاذ منها هنا هي الوسوسة الزائدة التي لا يتحمل القلب زيادتها فتُغرق الصدر، أو لأن أثر الوسوسة من الشيطان عادة ما تجعل الصدر ضيقًا منقبضًا لذلك أمر بالاستعاذة من الوسوسة حتى ينشرح الصدر ويذهب عنه ضيقه لذلك عبر بالصدر.

**فإن قلت لي ولكنك قلت إن الوسوسة تقع من الإنس والجن على حد سواء لذلك ختم السورة بقوله** ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ **ومعلوم أن وسوسة الإنس تكون بصوت مسموع مفهوم فلماذا عبر بالصدر مع كون الأذن أولى وأنسب؟**

---

١)) التفسير المنير (٣٠/٤٨٢)

**قلت:** لأن وسوسة الشيطان أكثر من وسوسة الإنس فالشيطان يوسوس للعباد طوال الوقت ما دام غافلًا عن ذكر الله في وجود الناس وفي خلواته لذلك عبر بما وسوسته غالبة على الآخر وأكثر لذلك عبر بالصدر، أضف إلى ذلك أن وسوسة الإنس أحيانًا كثيرة تكون بإشارة، بنظرة عين، بحركة معينة من غير كلام فيجد المرء أثرها في صدره لذلك عبر بالصدر دون الأذن والله أعلى وأعلم.

**هل أمر الوسوسة في الصدور يقع للإنس فقط دون الجن؟**

قال الماتريدي:" وتأول كثير منهم أنه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس، وذلك ممكن؛ لما قد يكون من كل جنس ضُلَّالٌ وغُواة وأخيار وأبرار."[1]

قال الإمام البغوي:" ثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان، فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعا."[2]

قال الإمام الطبري:" فإن قال قائل: فالجنّ ناس، فيقال: الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. قيل: قد سماهم الله في هذا الموضع ناسا، كما سماهم في موضع آخر رجالا فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ **(الجن: ٦ )** فجعل الجنّ رجالا وكذلك جعل منهم ناسا.

---

١)) تفسير الماتريدي (٦٦٦/١٠) وبنحوه قال الإمام السمرقندي في بحر العلوم (٦٣٨/٣)

٢)) تفسير البغوي (٣٣٦/٥)

وقد ذُكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدّث، إذ جاء قوم من الجنّ فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجنّ، فجعل منهم ناسا، فكذلك ما في التنزيل من ذلك."[١]

**والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه الجن والإنس**

ما روي أنه جاء نفر من الجن فقيل لهم: من أنتم فقالوا: أناس من الجن، وأيضا قد سماهم الله رجالا في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ **(الجن: ٦ )** فجاز أيضا أن يسميهم هاهنا ناسا."[٢]

**قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾

قال صاحب بحر العلوم:" شيطان الإنس أشد على الناس من شيطان الجن، لأن شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وشيطان الانس يعاينك معاينة)."[٣]

وقال البغوي:" وسوسة الجنة للإنسان تكون: بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع."[٤]

قال صاحب النكت والعيون:" وأما وسواس الناس ففيه وجهان: أحدهما: أنها وسوسة الإنسان من نفسه، قاله ابن جريج. الثاني: أنه إغواء من يغويه من الناس."[٥]

---

١)) تفسير الطبري (٧١١/٢٤)

٢)) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٧٨/٣٢)

٣)) بحر العلوم للسمرقندي (٨٥١٤/١٢)

٤)) تفسير البغوي (٣٣٦/٥) طبعة احياء التراث

٥)) تفسير الماوردي (٣٧٩/٦)

**ولقائل أن يقول ما سر تقديم شياطين الجن على الإنس هنا (من الجنة والناس)، وتأخرها في قوله شياطين الإنس والجن)؟**

قال صاحب التحرير والتنوير:" وقدم الجنة على الناس هنا لأنهم أصل الوسواس كما علمت بخلاف تقديم الإنس على الجن في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ **(الأنعام: ١١٢)** لأن خبثاء الناس أشد مخالطة للأنبياء من الشياطين، لأن الله عصم أنبياءه من تسلط الشياطين على نفوسهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ **(الحجر: ٤٢(** "[1]

**لعلك تلحظ معي أن لفظ الناس تكرر في السورة أربع مرات فما السر في ذلك؟**

قال الإمام الطاهر بن عاشور:" وتكرير كلمة الناس في هذه الآيات المرتين الأوليين باعتبار معنى واحد إظهار في مقام الإضمار لقصد تأكيد ربوبية الله تعالى وملكه وإلهيته للناس كلهم كقوله تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ **(آل عمران: ٧٨)**.

وأما تكريره المرة الثالثة بقوله: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ فهو إظهار لأجل بعد المعاد. وأما تكريره المرة الرابعة بقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ فلأنه بيان لأحد صنفي الذي يوسوس في صدور الناس، وذلك غير ما صدق

١)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦٣٥/٣٠)

كلمة الناس في المرات السابقة. والله يكفينا شر الفريقين، وينفعنا بصالح الثقلين."[١]

قال الإمام الرازي:" واعلم أن لهذه السورة لطيفة أخرى: وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد، وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت: أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت، والله سبحانه وتعالى أعلم."[٢]

**من أسرار النظم المتعلقة بسورة الناس**

"أن الفواصل منتهية بالسين الذي فيه جرس خافت ومهيب وله وقع في النفوس."[٣]

**سر ختم القرآن بالمعوذتين**

**فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:**

---

١)) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠/٦٣٥، ٦٣٦)

٢)) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٢/٣٧٨) ونقلها الزحيلي بنصها في تفسيره المنير (٣٠/٤٨٣)

٣)) التفسير المنير (٣٠/٤٨٠)

الأول: لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله -ﷺ- قال فيهما: أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب: لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره."[1]

**المناسبة بين سورة الناس والفاتحة**

ربط الإمام البقاعي بمناسبة بين سورة الناس والفاتحة بكلام نفيس مطلعه:" كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعه، ويلتحم مبدؤه بمرجعه على أحسن وجه، فنظر هذه السورة إلى الفاتحة والتحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت على ثلاثة أسماء: الله والرب والملك، وسورة الناس على الرب والملك والإله وأنه كما

---

١)) ينظر: تفسير ابن جزي (٢/٥٣٠) وينظر: أضواء على تفسير المعوذتين للأستاذ الدكتور سالم عبدالخالق السكري (ص١٨) الطبعة الأولى مكتبة الإيمان/١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، وقد أفدت هذه الفائدة من فضيلته حفظه الله.

افتتحت الفاتحة باسم الله الذي لا شراكة فيه، ختم القرآن الكريم به معبراً عنه بالإله، وصار الاختتام مما كان به الافتتاح على الوجه الأجلى والترتيب الأولي، وقد ندب النبي -ﷺ-إلى افتتاح القرآن بعد ختمه كما أشار إليه اتصال المعنى، وكأن القارئ ذكر بالأمر بالاستعاذة إرادة افتتاح قراءته، فكأنه قيل: استعذ يا من ختم القرآن العظيم لتفتتحه، وكأنه لما استعاذ بما أمر به في هذه السورة قيل له: ثم ماذا تفعل؟ فقال: أفتتح، أو أنه لما أمر بالاستعاذة قال: ماذا أفعل؟ فقيل: افتتح بسم الله الرحمن الرحيم الذي تجب مراقبته عند خواتم الأمور وفواتحها، وكان قد قال سبحانه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ **(النحل: ٩٨)** علم أن المراد ابتداؤه بالقرآن فنسبتها إلى الفاتحة نسبة المعلول إلى علته، فاتصل الآخر بالأول أيّ اتصال بلا ارتياب، واتحد به كل اتحاد – إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب[١]

١)) نظم الدرر للبقاعي (٤٣٦/٢٢) بتصرف.

## الخاتمة

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في وضع يدك على بيان وجه من أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم ألا وهو النظم القرآني ذلكم النظم الذي أعجز البلغاء والفصحاء فما استطاعوا أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه مع أنهم يملكون كل أدوات الفصاحة والبلاغة لكنهم استطاعوا أن يجاروا نظمه في التوفيق بين اللفظ والمعنى ويربطوا بينهما برباط النظم القرآني المعجز

أقول: بعد هذه الإطلالة السريعة على قضية النظم القرآني وتطبيقها في سور الإخلاص والمعوذتين **أستطيع أن أخرج ببعض النتائج منها:**

١- النظم القرآني أهم أوجه إعجاز القرآن الكريم

٢- التحدي الذي أعجز العرب والعجم والعالمين أجمعين تكمن أهم مظاهره في نظم القرآن الكريم الذي يربط بين اللفظ والمعنى.

٣- النظم القرآني هو ترتيب الألفاظ القرآنية على حسب ترتيب المعنى المراد بأفصح الألفاظ وأجزلها، أو هو الإتيان بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصحَّ المعاني.

٤- وأن الألفاظ قوالب للمعاني، فالمعنى هو المعبَّر عنه، واللفظ هو المعبَّر به، وهذه هي الصلة بين اللفظ والمعنى.

٥- النظم يكون في الكلم والجمل المركبة وفيما تركبت منه من كلمات وحروف داخل نظم الآية أو السورة.

٦- الشيخ الخطابي مؤسس نظرية النظم، والشيخ عبد القاهر الجرجاني بنى على قواعده وشيد البنيان.

٧- ضمن كثير من المفسرين تفسيرهم إبراز قيمة النظم القرآني عند تفسيرهم لكلام الله تعالى من أبرزهم الإمام الزمخشري، والبيضاوي، وابن عطية، والرازي، وأبو السعود، والقرطبي، والبقاعي والطاهر بن عاشور وغيرهم.

٨- كل محاولات أساطين البلاغة للإتيان بمثل القرآن باءت بالفشل وستظل إلى قيام الساعة.

٩- ليس المقصود من تعجيزهم بيان عجزهم فقط، وإنما إثبات صدق النبي -ﷺ- في دعواه، وأنه مُرسلٌ من عند الله، وأن القرآن وحيٌ أوحاه الله إليه وليس من عند نفسه.

١٠- أن هذا التحدي للثقلين جميعهم إنسهم وجنهم متظاهرين تحد مستمر قائم إلى يوم الدين.

١١-حوت سور الإخلاص والمعوذتين على الكثير من أسرار النظم القرآني المبهر على الرغم من قلة، وقِصَرِ آياتها

**وأما عن أهم التوصيات:**

فإذا كان لمثلي أن يُوصي بشيء فإني أوصي إخواني من طلبة العلم بالآتي:

١- بذل جهد وجُهد أكبر في خدمة كتاب الله تعالى شرحًا وتفسيرًا وتدبرًا لأنه يستحق أن تُفنى فيه الأعمار وتُقضى فيه الأوقات ويُبذل من أجله النفس والنفيس.

٢- الاهتمام بقضية النظم القرآني عند الكتابة في التفسير لأنها من أجمل الأمور التي تبرز عظمة القرآن الكريم وتبهر العقول بحسن نظمه وجمال تأليفه.

٣- الاهتمام بالمشروعات البحثية التي تبرز دور المفسرين في إبراز الوجه الجميل للنظم القرآني، وطباعة هذه المشاريع لترى النور بعد أن يوضع لها خطة محكمة يسير عليها كل الباحثين ويلتزم بها المشرفون قبل الباحثين ليخرج المشروع من أوله إلى آخره على نسق واحد لا يشذ قدر عن قدر في الطريقة أو المنهج والبحث، وإنما تخرج للنور بحيث يصعب على القارئ التمييز بين مقدار أحد من الباحثين والآخر.

**وفي الختام** هذا بحث أعانني الله تعالى على إعداده وجمعه واستفرغت وسعي في لملمة أطرافه وجمعه من شتات كتب التفسير واللغة وغيرها، وما فتح الله عليَّ به ويسره لي وأجراه على قلبي ولساني وخطته يدي، ولا أدعي فيه كمالًا وخلوًا من نقصان، وحسبي أن قرأت واستفدت، فإن أحسنت فالله الحمد والفضل في الأولى والآخرة، وإن قصرتُ فأستغفر الله من كل ما زلَّ به القدم، أو طغى به القلم، وأستغفره من أقوالي التي لا توافق أعمالي وأسأله سبحانه أن يتقبله بقبول حسن، وأن يكتب له القبول، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وذخرًا لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## فهرس المصادر والمراجع

**أولًا: القرآن الكريم.**

**ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن.**

١- الإتقان في علوم القرآن/ لجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب/١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢- أسباب نزول القرآن/ للواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان/ الطبعة الثانية دار الإصلاح – الدمام/ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٣- أضواء على تفسير المعوذتين للأستاذ الدكتور سالم عبدالخالق السكري الطبعة الأولى مكتبة الإيمان/١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م

٤- إعجاز القرآن للباقلاني/ لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر/ الطبعة الخامسة دار المعارف – مصر/١٩٩٧م

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ لمصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) دار الكتاب العربي – بيروت/ الطبعة الثامنة – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للبيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ الطبعة: الأولى –١٤١٨ هـ.

٧- بحر العلوم/ لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٨- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان(ت٧٤٥هـ): تحقيق: صدقي محمد جميل، /طبعة دار الفكر-بيروت ١٤٢٠هـ.

٩- البرهان في علوم القرآن/ للزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ -١٩٥٧ م/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

١٠- بيان إعجاز القرآن/ للخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام/ دار المعارف بمصر/ الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م

١١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) / الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل/ لابن جزي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي/ الطبعة: الأولى / شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت/ -١٤١٦ هـ.

١٣- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ لأبي السعود (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤- التَّفْسِيرُ البَسِيْط/ للواحدي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه /الناشر: عمادة

البحث العلمي –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١٥- تفسير القرآن العزيز/ لابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة –محمد بن مصطفى الكنز/الناشر: الفاروق الحديثة –مصر/ القاهرة/الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م

١٦- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ لأبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ للدكتور: وهبة بن مصطفى الزحيلي/ الطبعة الثانية دار الفكر المعاصر – دمشق/ ١٤١٨ هـ

١٨- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للنسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي/ راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو/ الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م

١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) /المحقق: أحمد محمد شاكر /الناشر: مؤسسة الرسالة/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م

٢٠- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي للإمام القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة/الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤ م

٢١- الجدول في إعراب القرآن/ لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)/ الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت/ الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ

٢٢- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القاضي وكِفَايةُ الراضي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي/ لشهاب الدين الخفاجي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر -بيروت.

٢٣- حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي/ طبعة مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول- تركيا ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٤- حاشية القونوي/ لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير البيضاوي/طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبان/ الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للإمام السيوطي (ت: ٩١١) الناشر: دار هجر -مصر

٢٦-دلائل الإعجاز في علم المعاني/ لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر/ الطبعة: الثالثة مطبعة المدني بالقاهرة -دار المدني بجدة/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للإمام الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية/ الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت/الطبعة: الأولى/١٤١٥هـ

٢٨- صفوة التفاسير/ للصابوني/ الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة/ الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

٢٩- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم/ لحسن عبد الفتاح أحمد/ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

٣٠- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم/ للأستاذ الدكتور محمد السيد جبريل/ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٣١- غرائب التفسير وعجائب التأويل/ للكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن بيروت.

٣٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل /للإمام الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) الطبعة: الثالثة / دار الكتاب العربي – بيروت/ ١٤٠٧ هـ

٣٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن/ للثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور/ مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي/ الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان ١٤٢٢، هـ –٢٠٠٢ م.

٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد/ الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت –١٤٢٢ هـ.

٣٥- المدخل لدراسة القرآن الكريم/ لأبي شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)/ الناشر: مكتبه السنة – القاهرة/ الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٣٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر –عثمان جمعة ضميرية –

سليمان مسلم الحرش /الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع/الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧ م

٣٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م

٣٨-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ لفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) /الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت/الطبعة: الثالثة -١٤٢٠ هـ

٣٩-مناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) / الطبعة الثالثة / مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٤١- النكت في إعجاز القرآن/ للرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)/ المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام/ الناشر: دار المعارف بمصر/ الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م

٤٢- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه/المؤلف: لمكي بن أبي طالب (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، /الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة /الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨م.

**ثالثًا: كتب الحديث وعلومه والسيرة النبوية**

٤٣- الجامع الصحيح = صحيح مسلم/ للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري/ الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت/تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

٤٤- الجامع الكبير= سنن الترمذي/ للترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف/الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت/سنة النشر: ١٩٩٨ م

٤٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري/ لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري / المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر/الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٤٦- الرحيق المختوم للمباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) تحت عنوان الرسول في الطائف / الطبعة الأولى /دار الهلال –بيروت

٤٧- سنن ابن ماجه/ لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط/الطبعة: الأولى دار الرسالة العالمية/١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م.

٤٨- السنن الكبرى/ للنسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي/أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط/قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي/ الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة – بيروت/١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م

٤٩- السيرة النبوية لابن هشام (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي/الناشر: شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر/الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

٥٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ للقاضي عياض (المتوفى: ٥٤٤هـ)/ الناشر: دار الفيحاء - عمان/ الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ

٥١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/لابن حبان (المتوفى: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ الناشر: مؤسسة الرسالة -بيروت.

٥٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى سنة ٨٠٧هـ) بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر/طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي.

٥٣- المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص/ للإمام الحاكم / تحقيق : تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (٦٧٣ - ٧٤٨هـ، ١٢٧٥ - ١٣٤٧م).

٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون/ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي / الناشر: مؤسسة الرسالة/الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م

٥٥- المعجم الكبير/ للطبراني المتوفى : ٣٦٠ هـ/ المحقق : حمدي بن عبد المجيد السلفي/ الناشر : دار إحياء التراث العربي/ الطبعة : الثانية ، ١٩٨٣ م

**رابعًا: كتب العقيدة:**

٥٦- مقومات الإسلام للإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب/طبعة الحكماء للنشر/٢٠٢٤م.

**خامسًا: كتب المعاجم واللغة والبلاغة**

٥٧-أساس البلاغة/ للزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)/ تحقيق: محمد باسل عيون السود/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٥٨-تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين / الناشر: دار الهداية.

٥٩-تهذيب اللغة للهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ) / المحقق: محمد عوض مرعب/ الطبعة: الأولى / دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ٢٠٠١م

٦٠-جمهرة اللغة/ لابن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)/ المحقق: رمزي منير بعلبكي/ الناشر: دار العلم للملايين – بيروت/الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

٦١-دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)/ عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص/الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٦٢-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار / الناشر: -دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م

٦٣- طبقات المفسرين للداوودي/ لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) طبعة دار الكتب العلمية – بيروت/ راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر

٦٤- القاموس المحيط للفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة / مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥م.

٦٥- كتاب التعريفات للشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ الطبعة: الأولى دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٦٦- كتاب العين للفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) / المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٦٧- لسان العرب لابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٦٨- مجمل اللغة لابن فارس/ لأحمد لابن فارس القزويني (المتوفى: ٣٩٥هـ)/ دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان/ دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت/ الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

٦٩- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي / الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م

٧٠- مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ

محمد / الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٧١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/للحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية -بيروت

٧٢- معجم الفروق اللغوية/ لأبي هلال العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي/ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»/ الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٧٣-معجم مقاييس اللغة/لأحمد بن فارس القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ) / المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

## فهرس الموضوعات

مقدمة

المبحث الأول النظم القرآني أهم وجوه الإعجاز القرآني

المطلب الأول: النظم القرآني وجه التحدي والإعجاز في القرآن الكريم

المطلب الثاني: تعريف النظم عند أهل اللغة

المطلب الثالث: تعريف النظم عند البلاغيين

المطلب الرابع: قضية النظم القرآني بين المفسرين والبلاغيين

المطلب الخامس: مسائل متعلقة بالنظم وكونه من أهم وجوه الإعجاز القرآني

المبحث الثاني: من أسرار النظم القرآني في سورة الإخلاص.

المبحث الثالث: من أسرار النظم القرآني في سورة الفلق

المبحث الرابع: من أسرار النظم القرآني في سورة الناس

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات